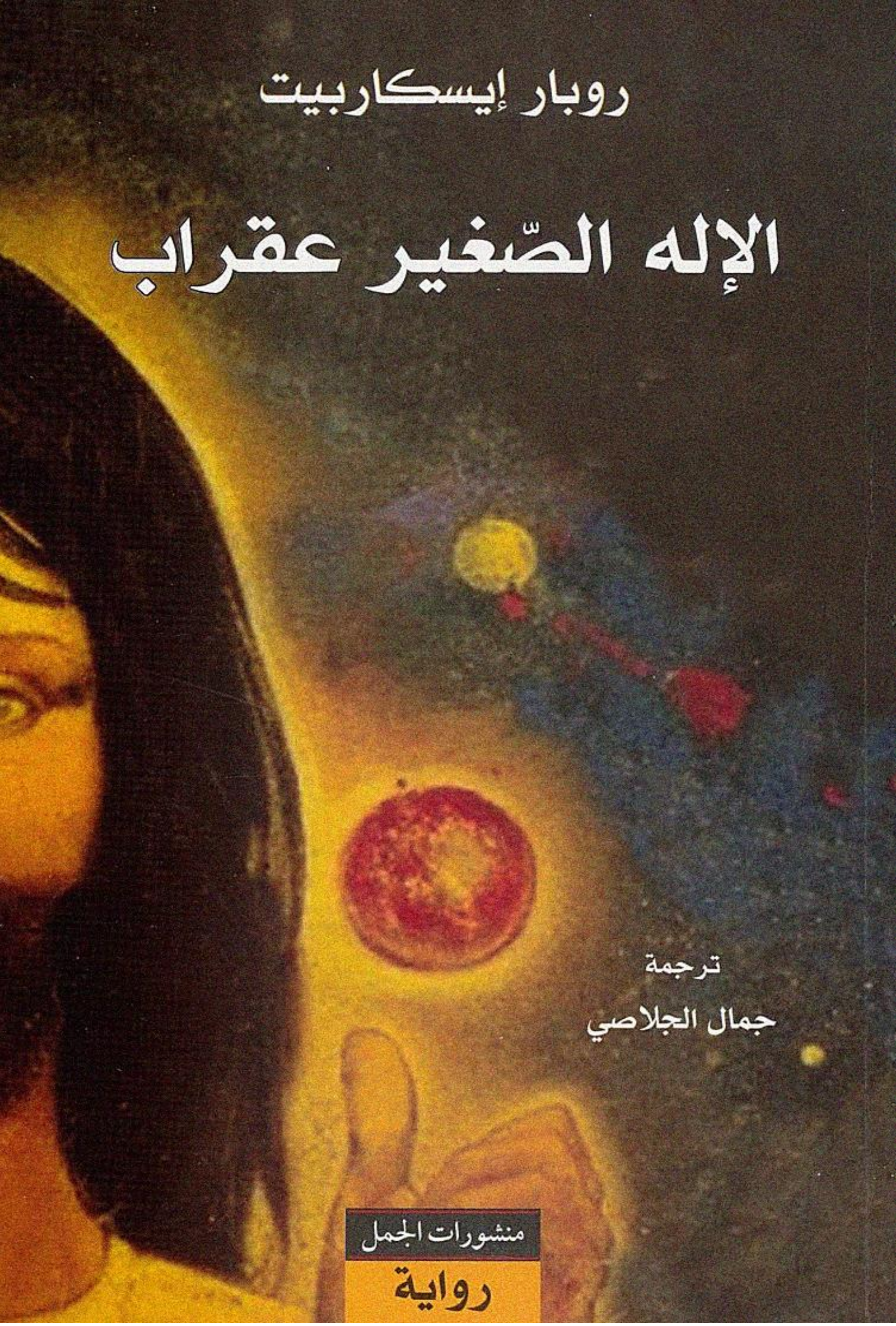
روبار إيسكاربيت

الإله الصّغير عقراب



ترجمة

جمال الجلاصي

منشورات الجمل

رواية

روبار إيسكاربيت

الإله الصّغير عقراب

ترجمة

جمال الجلاصي

منشورات الجمل

روبار إيسكاربيت: الإله الصّغير عقراب

روبار إيسكاربيت: الإله الصّغير عقراب، ترجمة: جمال الجلاصي
الطبعة الأولى ٢٠١٥

تلفون وفاكس: ٢٥٣٣٠٤ ـ ٠١ ـ ٠٠٩٦١
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

Robert Escarpit: Le petit Dieu Ocrabe

Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany
www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

كان الإله عقراب إلهاً صغيراً جدّاً. منذ بدء الأزمنة وهو يتاجر في ركن صغير من الكون، حيث تسبح بكآبة بضع مجرّات على وشك الانطفاء.

في الأزمنة الغابرة كان يمكن لجنّته التي ابتدعها هناك أن تبدو لأقوام بدائيّين جذّابة بل رائعة، لكن الآن يجب الاعتراف أنّه لا يمكنها أن تغري أحداً. بالكاد تمكّن عقراب من تشغيل الكهرباء وطبعاً لم تكن لديه الإمكانيات لتجهيزها بتلفاز.

على كلّ، فكلّ هذا ليست له أيّة أهميّة تذكر إذ أنّ القاعة الفسيحة ذات ١٥ متراً على ١٠ أمتار حيث من المفترض أن يجلس المحظوظون، خالية تماماً... بالكاد يأتي زائر جديد في غضون عشرة أو عشرين قرناً. ودائماً بعد بضع سنوات يهاجر إلى جنّة أخرى أحسن تأثيثاً.

كان عقراب يحسّ نفسه وحيداً ويحصل أن يشكّ في وجوده نفسه. لا يمكن لإله أن يوجد إلا إذا آمنّا به، والمؤمنون بعقراب في تناقص مستمرّ خلال الألفيات الأخيرة.

إنّ المؤمنين به لم يكونوا قطّ كثراً، لكنّه يتذكر زمناً كان

عباده يعدّون بالعشرات وفي بعض الأحيان بالمئات في كوكب من بحيرة البجع. للأسف اندثر الكوكب في انفجار لنجم جديد وحمل أبالسة الجحيم بقايا الأرواح المتفحّمة التي بقيت سابحة في الفضاء، في حين تفرّق أتباعه الآخرون بين المجرّات.

بحزن يتأمل عقراب دفاتره، يجب أن يواجه نفسه، لم يعد له في كامل الكون غير سبعة أتباع: ثلاثة مخلوقات مجنّحة أقرب للغباء منها إلى العقل في مدار أرمينيون، في مجرّة أنتيوب، وكيانان غازيان يمتطيان مذنّبا في عمق الأركوتوروس وعجوز حكيم ذو أربعة عقول كلها تقريباً غير صالحة للاستعمال على كوكب كزيروس. وطفل في الثامنة من عمره يدعى أندرول على كوكب الأرض في مدينة كيرباك وهي ميناء على ساحل البحر الفضّي عند مصبّ نهر البيتينغ.

دائماً يفكر عقراب باندرول، إنه فرصته، لأنه ما زال صغيراً طبعاً ويمكنه أن يبني آمالا على مستقبله. إنّه مازال صغيراً على النبوّة، لكن خلال ١٥ عاما، لحظة بالنسبة إلى إله، يمكنه أن يطلب منه بعض الدعاية اللازمة.

إنّ أفضليّة اندرول تتمثل في كونه من سكّان الأرض مصدر أشدّ المنافسات للآلهة الصّغار. سكّان الأرض لهم نبوغ غريب في مادة تصنيع الدّيانات، إنّهم قادرون على صناعة ديانات عديدة خلال قرن واحد، ديانات صلبة، دائمة ومفتوحة للجميع. لقد تأسّست على الأرض الشركات الدّينية

الكبرى متعدّدة الكواكب بمغازاتها الكبرى، بأديرتها ومعابدها وكاتدرائياتها وجوامعها وهياكلها، والتي فتحت فروعا لها حتى في أصغر القرى.

«يهوذا وشركاؤه» و«الله L.T.D» شركات عملاقة مسحت تقريباً الديانات الصغرى. بعض منتجي الشرق الأقصى كبوذا وفيشنو والعجوز أماترسو أوميكامي مازالوا يقاومون في مواطنهم الأصليّة ويحاولون في بعض الأحيان كسب المعجبين في الغرب. مولونغو وميامبي في إفريقيا مازالا يتاجران في الأسواق القرويّة مع بعض آلهة الغاب المجهولين من الجميع إلا عدد من التجمّعات البدائية المعزولة. ولكن لا أحد يمكنه حصر عدد الآلهة التي هزمتها المنافسة التي لا ترحم لصانعي الأرواح. تلك المنافسة التي تتجسّد أحياناً في عنف حارق تتخلله مذابح كبرى تعمّر الجنان ذات الأربع نجوم.

عقراب يكره التعصّب، لم يدّع قطّ أنّه الإله الأوحد، هذا دليل غرور غير شريف. على العكس كان دائماً يعتقد أنّ وجود عدّة ديانات أمر إيجابيّ يدفع على الإبداع، كلّ فرد يحاول أن يقدم أعزّ ما عنده لصالح الكلّ. هذا التّباري ليست له أي علاقة بالمنافسة العنيفة الّتي تحاول بالقوّة فرض السّيطرة... منذ حوالي ألفين عاماً يحاول آلهة كبار دون رحمة محاطين بخبراء في الترويج والعلاقات العامّة ومدعومين بجيوش جبّارة من الحاخامات والأحبار والكهنة وآيات الله والقساوسة إفناء منتجي الديانات الصّغار.

آه! الآلهة لا تموت، ذلك في طبيعتها إنّها خالدة ولكنّها توضع في دور للعجز يسمّونها متاحف أين تأتي الناس لتفغر أفواههم أمام تماثيلهم أو حطام معابدهم.

هذا ما حصل لزوس وجوبيتار المبجّلين عند اليونان القدامى الأخوان هزتلي بوتشلي وهتزالكوتل أحدهما صلب وعنيف والآخر رحيم وطيّب وضع أيضاً في متحف. أحياناً يهربان بمناسبة مهرجان أو حفل فولكلوري ولكن لا أحد يأخذهما مأخذ الجدّ.

الآلهة المصريّة القديمة أوزوريس ورع وشحت والفينيقية بعل ومولوش لا يتركون جدران زنازينهم. بعض الأشخاص يخلصون للإله الآشوري مأمون إله الثروات لكنهم لا يعرفون حتى اسمه وفي معابدهم التي يسمونها بورصات تراهم يعبدون بالأساس أكياس نقودهم.

الاثنان اللذان يتدبران أمرهما إلى الآن هما فينوس وابنها كيوبيد. كل عشّاق الدنيا يقدمون لهم يوميا فروض الولاء ولكن بسرية لأن كبار الآلهة الذين لم يتمكنوا من مواجهة هذه المنافسة فرضوا قوانين تمنع ممارسة شعائر الحب علنا.

رغم كل هذا فإنّ عقراب لم يستسلم، إن ما ينقصه حقّا هو الإمكانيات. إن الإله يمكنه دائماً القيام بالخوارق كخلق عوالم أو القيام بمعجزات أو إلهام الوحي، لكن قدراته مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالرّصيد الذي يملكه.

ليس الرّصيد البنكي هو المهم، طبعاً هذا يساعد، وأصحاب يهوذا وشركاؤه استغلوا الأرصدة البنكية الهائلة لتوسيع إمبراطوريتهم عن طريق فيالق إخوتهم جامعي التبرعات والصدقات والأعشار. وأصحاب الله L.T.D يتمتعون بعوائد البترول الضخمة. لكن الأكثر أهمية هو رأسمال الاعتبار والثقة التي تتكدّس حسب نسق تصاعد الأدعية وخاصة طلبات الرحمة نحو الآلهة.

يكاد عقراب يكون خُلوا من كل هذا. بالكاد تصله من وقت لآخر فكرة غائمة وغير مؤكدة، كأنّ القلة من أتباعه ليسوا متأكدين من وجود أحد لسماعهم، وليس لدى عقراب وسائل اتصال للرّدّ عليهم. إنه يملك جهاز بثّ على الموجات القصيرة لكن موجات الراديو لا تسافر بسرعة الضوء فهي تبقى آلاف السنين للوصول إلى أماكن مستقبليها التي أصبحت خالية من أصحابها منذ زمن بعيد.

رغم كل شيء نجح عقراب بجهد جبّار في صناعة عالم. عالم صغير جدّا، كوكب قطره ثلاثة سنتمترات. ولأنه لم يجد شمسا بالصّغر الذي يمكّن كوكبه من الدوران حوله فهو يحتفظ بها الآن في جيبه. إنها خسارة لأن الكوكب جميل جداً، لقد تعب كثيراً من أجل تجميلها. كانت كرة من البلور الشفاف كالكريستال نرى داخلها دخان حلزوني أحمر وأخضر وأصفر يتلألأ تحت العين ويجعل منظر الكرة رائعاً.

أسماه عقيق. رغم أن في مركزه هباء من نار ذرية فإن انعدام الشمس يجعل عقيق بدون نهار أو ليل أو فصول. ثم لأنه صغير ليمتلك مناخاً فلم يكن من المجدي التفكير في تعميره، لا يمكن لأي حيوان أو نبات أن يعيش على سطحه. وفيما يتعلق بخلق كائنات على مقاسها فإن عقراب سيكون سعيداً بذلك لولا عليه أن يخلقهم أصغر من مكونات الذرّة مما يجعل تشابههم مستحيلاً. يبقي عقراب عقيق في جيبه على أمل أن يعمل به يوما عملا نافعاً. من وقت لآخر يديره بحزن بين أصابعه متخيلاً كل ما كان يمكنه فعله لو كان لديه عالم حقيقي.

مات عجوز كزيروس وجاء ليحتل مكانه في الجنّة التي أعاد عقراب دهنها وكنسها لأجله، وأعدّ له أريكة مريحة لاستقباله وقد اعتنى بتحضير كرسي صغير مبطّن ليريح ساقيه. هذا مهم لأن أدمغة الرجل الأربعة موجودة في رأسه وآخر في بطنه والآخران كل في ساق. دماغ رأسه غير صالح للاستعمال، دماغ بطنه يعمل قليلاً عند الأكل، لم يبق إلا دماغي الرّجْلين الذين يفكران من حين لآخر.

بمجرّد وصوله قدّم العجوز فروض الطاعة والولاء لإلهه وبما أن الرجلين هما اللذان يفكران فقد جاء الدعاء متعلقا بالمشي:

ـ شكراً يا عقراب لأنك قُدت خطواتي في طريق جنّتك ومكنتني من المسير دون تعثّر إلى العلياء.

ـ لا شكر على واجب، ردّ عقراب بشيء من الحرج لأنه لم يتعّود الشكر ويقلقه المديح بعض الشيء، إنّك لست مديناً لي بشيء ولكن يمكنك أن تقدم لي خدمة، قل لي أيها الحكيم العجوز أنا لا أرى كثيراً من الناس ولم تواتني الفرصة لطلب النصيحة، طول عمرك يعطيك خبرة عميقة بالحياة وإيمانك يضمن ولاءك واهتمامك بأعمالي، لو كنت مكاني...

ـ مكانك يا عقراب!!! لست أهلا لذلك!

ـ بلى، بلى إن أي شخص يمكنه أن يصبح إلهاً بشرط أن يولد لذلك، فلنفترض أنك مكاني ماذا تفعل لإضفاء بعض من النجاح على ديانتي.

ـ المشي، همهم الآخر بذهنه الذي مازال في ساقيه، يجب أن تمشي يا عقراب.

ـ المشي؟ تقصد السفر؟

ـ المشي...

كان العجوز قد أغفى ولم ينطق كلمة أخرى، لكن جوابه جعل عقراب يفكر. منذ زمن وهو مشغول بفكرة رؤية الأوطان وخاصة بجولة إلى كوكب الأرض. لم يزره منذ حوالي ألفي سنة وكان يرغب في التعرف على اندرول.

هكذا قرّر الرحيل إلى الأرض. عدّل وسائل التحكّم بالجنة أوتوماتيكيّا وترك العجوز لأحلام قدميه.

الآلهة تسافر أسرع من الضوء بكثير ولكن يلزمهم بعض الوقت طبعا، وعقراب لا يملك وسائل الاتصال الفورية التي يستعملها أغنياء الآلهة والتي تعطي الانطباع بامتلاك موهبة كلّية الحضور والقدرة على التواجد في كل مكان في ذات الوقت.

قضّى سنتين للوصول وأرسى في اليابان. عندما وصل أخيراً إلى كيرباك كان اندرول قد بلغ العاشرة.

كان يدرس بالسنة الثانية من التعليم الأساسي حين ظهر له عقراب ذات ليلة.

يؤمن اندرول منذ صغره بعقراب، كان قد بلغ سنته الرابعة عندما توقفت عيناه على كنيسة قلب يسوع بباريس في مجلة مصورة، فسأل أباه:

ـ من يسكن هذا المنزل الكبير؟

ـ يقال أنّه الله. أجاب أبوه بحذر من ليس له في الواقع أي ديانة.

ـ الله، إنّه يدعى عقراب. صرّح اندرول بصرامة.

ـ عقراب؟ أين وجدت هذا الاسم؟

ـ لا أدري، ولكنه اسمه.

لم يصرّ أبوه على الحديث، كان رجلا عاقلا يحترم مخيّلة ابنه. كان يدعى جون ماري لوكروك وهو عامل نظافة يقود

شاحنة حمراء كبيرة يوصل بها كل صباح اندرول إلى مدرسته ممّا يجلب له حسد كل الأصدقاء.

إذا كان ابنه يريد أن يكون الله عقرابا فإن جون ماري ليس الرجل الذي يعارضه. رغم ذلك فقد حدّث زوجته ليلاً بذلك. كانت تدعى فلورنس وكانت لها عينان خضراوان كمرج.

- عقراب؟ في صغره كان يلعب بالسرطانات البحرية في الساحل أو عند بائع السمك... ربما ذكرته بالعقارب.

- ربما، ولكنه بدا لي مقتنعا جدّاً.

- ربّما كان علينا أن نثقّفه دينيّا.

- لقد عمّدناه وهذا يكفي. أنت تعلمين أنّه منذ ذلك الحين وهو يصيح كالمجنون كلما حاولنا إدخاله إلى كنيسة.

- يعتقد أنّها مظلمة جدّا، إنه يخاف الظلمة.

- إذن أرجو أن يكون إلهه عقراب من محبّي الأنوار.

كان عقراب يحب النور. وقد ظهر ليلاً في بياض باهر في غرفة اندرول بين الخزانة وصندوق اللعب لحظة آوى الفتى إلى فراشه. لقد صنع ذلك البياض بوامض الكتروني اشتراه عند مروره باليابان. لم يفاجئ ظهوره اندرول كثيرا، فمنذ الرابعة كان يؤمن به، ويفكر فيه دوماً، وأحياناً يرجوه أن يحقق له أمنية. لم يطلب قطّ أشياء خارقة فهو يطلب مثلاً:

«عقراب! أريد أن تعدّ لنا أمي دجاجا في الفرن وبطاطا مقلية يوم الأحد». أو بعد ذلك:

«عقراب! اكسر ساق أستاذ الرياضيات قبل يوم إرجاع الفروض». أو بعد ذلك بقليل: «عقراب! اجعل فريق الرقبي لمدرستنا ينتصر على فريق الصنوبر ١٦/ ٠٠».

كانت أمانيه تتحقّق بنسبة ٥٠٪ تقريباً واندرول لا يطلب أكثر لم يتحدّث عن عقراب لأي شخص حتّى إلى أبويه.

عندما بلغ الخامسة تذكّر أبوه حوارهما في السنة السّابقة متسائلاً: «كيف أحوال إلهك عقراب؟»

غضب اندرول من لهجة أبيه السّاخرة وأطار بسيف «زورو» الذي كان يرتدي قناعه عندها نظّارات أبيه فاستحقّ لذلك صفعة على خدّه. على الفور دعا عقراب من فورة غضبه أن يرسم بإصبعه الخطير حرف «Z» المنتقم على كرش أبيه.

وبما أنّه في عمقه كان حنوناً وحساساً فقد ألغى الدعوة في الحين.

منذ تلك الحادثة لم يطرح موضوع عقراب في الأحاديث العائلية. الشخص الوحيد الذي حاول اندرول أن يبوح له بسرّه كانت الصغيرة سيكدال إحدى رفيقات المدرسة وابنة الرئيس المدير العام لمعمل مصبّرات السمك أكبر معامل كيرباك. كانت المفضلة لديه بشعرها بلون السنابل المصفرة

وعينيها الزرقاوين تملؤهما الدهشة. من بين كل بنات المدرسة كانت الوحيدة التي لا يخشى سخريتها، لم يفطن أنها تغنّج لجلب الانتباه. كان اندرول طويلاً وقويّاً بشعر مجعّد ووجه مستدير وكان بالإضافة لذلك أحسن مهاجم في فريق الرقبي ويحضى باحترام كل الأولاد. ورغم المسافة الفاصلة بين ابن عامل نظافة وابنة ر.م.ع فإن سيكدال كانت تستمع له بانتباه وأحياناً بشغف.

لم تكن في الواقع شديدة الذكاء، حينما يحدّثها اندرول عن الفرق بين كنيسة قوطية وكنيسة رومانية أو الفرق بين سمكة وحوت، أو حين يصف لها آليّات تشغيل نافورة أو قاطرة بخارية أو آلة كهربائية لا تفهم جميع ما يقول لكنها تسمعه فاغرة فاها ونظراتها المشرقة مركّزة بانبهار على وجه الطفل. الأمر الذي يعجب اندرول حقا في سيكدال هو مهارتها في لعبة الكجّات. كانت لها بصيرة وضعها، وحين يتعلق الأمر بإبعاد إحداها فإن لها ضربة إبهام دقيقة وصاعقة.

في أوقات الراحة يكوّنان فريقا وينتصران في أغلب الأوقات. وقد جمعا بفضل انتصارهما الدائم كنزاً جميلاً من الكُجّات تحتفظ به سيكدال في كيس صغير من القماش الوردي. كان به كجات من كل الألوان: صفراء وحمراء وبنفسجية وخضراء، كجتان حديديتان وكجة زجاجية بخطوط ملوّنة أطلق عليها اندرول اسم عقيقة.

ـ لماذا عقيقة؟ سألته يوما سيكدال.

ـ ربّما لأنّها تشبه كوكب العقيق، ردّ اندرول.

ـ أين يوجد هذا الكوكب؟

ـ لا أدري إنّ عقراب هوّ الذي خلقه. وهو يضعه في جيبه. هذا يعرفه، و لكنّه لا يعلم كيف عرفه. إنه أمر حتميّ لذلك لا يسأل كثيراً.

ـ من هو عقراب هذا؟ سألت سيكدال.

تردّد اندرول قبل أن يجيب ثمّ قال باختصار.

ـ إنّه إلهي.

ـ إلهي أنا، ردّت سيكدال التي تتردّد إلى دروس الوعظ الدّيني، يدعى يسوع.

ـ كلّ شخص له الحقّ في اسم.

ـ يسوع أجمل من عقراب.

ـ إنّها مسألة ذوق لا غير.

الأفضل هوّ تجنّب النّقاش. لكن سيكدال كانت متصلّبة وللمرّة الأولى سمحت لنفسها بمناقشة صديقها. من دروس الوعظ، قال لها القسّ كتبوك أنّه علينا هداية الكفرة الذين لا يؤمنون بيسوع.

ـ إذن أنت ملحد؟ سألته جادّة.

ـ لا باعتباري أؤمن بعقراب.

- تريد القول أنّي أنا الملحدة. قالت سيكدال وقد اغرورقت عيناها بالدّموع.

- لماذا؟ قال اندرول. أنت تؤمنين بإلهك وأنا أومن بإلهي. هذا ليس سببا لنصف بعضنا بالملاحدة.

لم تمنع هذه الإجابة من البرود الذي غلّف وداعهما.

تلك اللّيلة في غرفته دعا اندرول عقراب بقوله:

- عقراب اجعل النّاس يقبلون آلهة غيرهم وأنتم تقبّلوا أن يكون لديهم آلهة أيضاً.

سمع عقراب دعاءه وكان موافقا تماماً غير أنّه لم يستطع أي شيء.

هذه المنافسة اللعينة بين العظام، جعلت كلّ إله يرغب في احتكار السّوق وخاصّة على الأرض. وهي مسألة وضعها بين اهتماماته في زيارته.

عندما ظهر عقراب في غرفته عرفه اندرول مباشرة، هكذا تخيّله دوما: الرّأس المدبّب المغطّى بشعر أسود مفروق في الوسط، الشّفاه والذّقن مغطّيان بلحية سوداء مجعّدة وعين ثاقبة ولكنّها عطوفة وأنف كبير ملؤه البساطة.

أمر واحد فاجأه... الطّول... لم يكن عقراب أطول من المصباح الموضوع على الطّاولة بجانب السّرير.

- أهلا اندرول... قال عقراب بصوت رقيق.

ـ أهلا، عقراب، أجاب اندرول، أنا سعيد برؤيتك.

ـ لكنك تبدو رغم ذلك محبطا بعض الشيء.

ـ الحقيقة أنّي كنت أراك أطول بقليل

ـ آه!فهمت! إنّها مسألة ضبط لا غير، أنت تعلم أنّ المسافة تمنعنا من تقدير الأحجام،انتظر قليلا.

قام عقراب بحركة سحريّة فبدأ يكبر بسرعة حتّى لامس رأسه سقف الغرفة.

ـ هكذا أعجبك؟ قال بصوت كالرّعد.

ـ أصغر بقليل يكون أحسن.

ـ لنقُلْ ١٩٠ سم فدروسي السّحريّة تمكّنني من اتخاذ أي طول فقط بين سنتيمترين وثلاثة أمتار و٤٠ سم.

أصبح لعقراب الآن هيأة رجل قويّ البنية. جلس على حافّة السرير.

ـ جئت لأرى ما يحدث على الأرض فهل لديك أمر مهمّ تخبرني به؟

ـ فرنسا انتصرت على بلاد الغال في دورة الأمم الخمس بـ ١٨ ـ ٦.

ـ أعلم قرأت ذلك في الصّحف، أسأل عن أشياء أكثر أهمية كالحروب والمجاعات.

ـ من خلال ما رأيت في التّلفاز فهي موجودة في كلّ مكان تقريباً لدرجة أنها لم تعد بالغة الأهمية.

ـ اعتباراً للآلهة القويّة التي لديكم كان يجب أن تُحلّ هذه المسائل منذ زمن بعيد. لقد درست المسألة قليلا، بفضل قدراتي المحدودة أستطيع كلّ شهر أن أحفر بئراً في القرى الجافة أو أبطل مفعول قنبلة ذرية ولكن هناك الآلاف من القرى والقنابل. يجب أن يتّفق كبار الآلهة الذين يملكون الإمكانيات على التحرك وفعل شيء.

ـ يبدو أن لا نيّة لديهم للاتّفاق، قال اندرول الذي تذكّر حواره مع سيكدال.

ـ أعلم للأسف. سنتحدث بكل هذا لاحقا، ولكن الآن عليك أن تنام.

ـ وأنت أين ستنام؟

ـ الإله لا ينام. ولكني سأجهّز شقّة صغيرة في هذه العمارة. ليست لدي الإمكانيات الكافية لكراء شقة كبيرة.

اندرول وأبواه يقطنان شقة من عمارة كبيرة في كيرباك على مصبّ نهر البيتيغ في بحر الفضة الكبير. جدّ اندرول لأمه جون كريستوف لاب يعمل حارس الناظور الذي توصل إليه صومعة ب٣٥٨ درجة، ويصل مداه إلى ٣٠ ميلاً بحرياً.

نام اندرول هانئا أكثر من عادته لأن إلهه لم يكن قطّ قريبا منه إلى هذه الدرجة. في الصباح ظهر له عقراب في غرفة

الاستحمام وهو يغسل أسنانه. أبدل جبته البيضاء التي ظهر بها البارحة ببنطلون جينز وحذاء رياضي وقميص أصفر كتبت عليه بحروف حمر **أوكراب**.

ـ فكرت أن هذا سيكون أكثر بساطة.

ـ رائع! قال اندرول بعد أن تثبت بنظرة ثاقبة.

ـ إنّه لباس لا يليق بإله ولكن قدراتي السحرية لا تمكنني من أكثر من ١٢٠ دولار يوميا، أي حوالي ١٠٠٠ كلوب من عملتك المحلية. وأعتقد أنه لباس جيد وسأخلق قيثارة وبهذا سيعتبرني الآخرون واحداً من مغني الروك الكثيرين عندكم.

ـ قيثارة كهربائية.

ـ أوه! كيف ذلك؟ قيثارة عاديّة لا غير.

ـ هل تعرف الغناء؟

ـ كل الآلهة تعرف الغناء.

ـ موسيقى كنائسيّة؟

ـ كلّ أنواع الموسيقى، ولكن لكلّ ذوقه.

ـ هل تحبّ الرّوك؟

قام عقراب بحركة امتعاض، وقال:

ـ إنّها مختلفة جدّا عن موسيقى الأفلاك التي نسمعها في الكون الفسيح ولكن حين تنفجر الصّواعق أو ينفجر نجم

جديد فهذا يشبه الرّوك قليلا، شخصيّا أشعر أنّه يصمّ آذاني.

أقام عقراب في الشّقّة عدد ١٣٠٥. لم يجد أي صعوبة مع القيّم على العمارة لأنّ قدراته السّحريّة مكّنته من توفير بطاقة احتراف موسيقي. وضع على بابه لافتة: **أوكراب أستاذ موسيقى**.

سريعا جعلته طيبته محبوبا من قبل جيرانه، حتّى السيّدة روندو ذات المزاج العكر. كلّ ليلة يُسمع وهو يخربش على قيثارته. وكي لا يزعج الآخرين يتجنّب العزف أثناء بثّ المقابلات ولكن في بقيّة الأوقات تتناغم موسيقاه مع الويستارن أو أفلام الجمعة.

عائلة لوكروك كانت تقطن أسفل شقّته وكانت تسمع موسيقاه دوماً. تستمع فلورنس وهي تخيط وأحياناً تقول بشكل حالم:

- إنّه يعزف بشكل جيّد السّيّد أوكراب. فيهزّ جون ماري رأس وهو يفكّر:

- يجب أن يكون مشهوراً كموسيقي. أوكراب... أوكراب... هذا الاسم يذكّرني بشيء ما.

ابتسم اندرول خفية... المرة الأخيرة التي ورد فيها اسمه كانت منذ خمس سنوات أثناء حادثة «زورو» الّتي كلّفته صفعة.

مرّ شهر استقرّ خلاله عقراب تماما، وأصبح له بعض التلاميذ من بينهم طبعاً اندرول وبعض رفاق قسمه الذين جلبهم معه. سيكدال كانت معه لكنها لم تشكّ أبداً أن السيد أوكراب هو نفسه الإله عقراب الذي حدثها عنه اندرول. كانت لديها استعدادات جيدة للقيثارة.

ـ حركات أصابعك جيدة ولديك الحس بالإيقاع، قال لها عقراب، ولكن يجب أن تربّي أذنيك على السماع الصحيح.

ـ في الأساس، يقول لاندرول عندما يأتي لزيارته بمفرده، أصل كل مشاكلكم الإنسانية هو أنكم لا تتقنون الاستماع. إنكم لا تستمعون حتى إلى بعضكم. أؤكد لك أنّه لكي تكون إلهاً عليك أن تتقن الاستماع، ونحن نسمع أشياء لا تتصوّرها.

ـ أنا أستمع في القسم بشكل جيّد.

غير صحيح!!! لأنه حين يتكلم الأستاذ بيتسوك يكون خيال اندرول سابحا في الفضاء، ولكن في النهاية إنه يبذل جهده.

ـ بمناسبة المدرسة أرغب بالتعرف على شكلها وما الذي يحدث داخلها، ألا تستطيع أن تأخذني معك؟

ـ أستطيع أن أقدّمك للأستاذ بيتسوك عند الدخول أو

الخروج، ولكن بالنسبة للحضور داخل القسم لا أعتقد أنه يوافق على ذلك.

ـ نسيت أنّه يمكنني أن أصغّر نفسي كثيرا، سأبقى داخل محفظتك.

هكذا اتجه عقراب إلى المدرسة متأرجحا على أكتاف اندرول بين كراس الرياضيات وكتاب الفرنسية ولمجة الساعة الحادية عشر، وعلبة العلكة وقلم جافّ وموزة نصف فاسدة ومنديل متّسخ.

عندما عادا إلى المنزل مساء انتظر اندرول أن يخرج عقراب من المحفظة ويعود لحجمه الإنساني لينسحب إلى غرفته لإعداد دروسه.

ـ السيد بيتسوك أستاذ رائع، أرغب في التعرّف عليه أكثر، لدينا الكثير لمناقشته. لكنه يجد صعوبة ليبلّغ إليكم ما يريد، إنكم لا تستمعون إليه جيداً.

ـ لأن ساعات الدرس طويلة جدّاً. قال اندرول.

ـ ماذا تقول لو كنت ملزما بالخلود مثلنا نحن الآلهة!!! حياتكم أنتم البشر قصيرة، تجدون الوقت فقط لتتعلموا. أعتقد جازما أنك لم تفهم عشر ما قال الأستاذ اليوم.

ـ أستطيع أن أراجعه في البيت.

ـ آه الكتب! أعترف أنها إنجاز إنساني رائع. قرأت كتاب

الفرنسية بينما كنت في المحفظة، أحببت كثيراً فيكتور هوغو وأناتول فرانس، وأنت؟

ـ أحبّ أكثر السلاسل المصورة.

ـ ماذا؟

ـ إنها كتب مصورة تحكي قصصاً مثل «لاكي لوكي» أو «تانتان».

ـ ليس لي أي اعتراض على الصّور، لكني أفضّل الكتابة. هل تعلم أن كل الديانات التي نجحت على الأرض لها كتب مقدسة؟ هل سمعت بالإنجيل والقرآن؟

ـ نعم طبعاً.

ـ بالنسبة للدّيانات هذه الكتب تشبه روزنامة العروض السينمائية أو قائمة أكثر الكتب بيعا، إنها تساهم في مزيد قطع التذاكر والمطبوعات. سأنظر في إمكانية إصدار كتاب أنا أيضاً.

ـ أي عنوان ستختار له؟

ـ لا أعرف إلى حدّ الآن.

ـ ما رأيك بكتاب عقراب؟

ـ يوحي بالغرور. أكره عبادة الشخصيات. سنرى... ثم ليست الكتب فقط تهم الناس، إنهم يحبّون الترفيه. قل

لي ما اسم اللعبة التي كنت تمارسها مع سيكدال وقت الراحة؟

ـ كنا نلعب الكجات.

ـ إنها تشبه اللعب بالكواكب. رأيت أن لك واحدة تشبه العقيق.

ـ نعم أسميتها أيضاً عقيقة. هل حقا تشبه كوكبك؟ هل أستطيع أن أراه؟

بحث عقراب في جيب سرواله وسحب عقيق ومدّه لاندرول. كان عقيق جميلاً جداً، خطوط الألوان تدغدغ داخل البلور الشفاف فتحدث ألوانا قزحية.

ـ أستطيع أن ألمسه؟ سأل اندرول.

ـ طبعا، امسكها.

كانت الكرة دافئة كأنها حيّة وجاهزة للانطلاق في الفضاء.

ـ أرغب بالعيش على سطحها. قال اندرول.

ـ ستكون عندها سعيداً جدّاً، جعلت حرارتها معتدلة، للأسف في وضعي الحالي لا أستطيع أن أجعلها أكبر أو أجعلك أصغر لتستطيع العيش عليها.

ـ ألا تستطيع زيادة قدراتك؟

ـ يجب أن يكون لدي المزيد من المريدين، إن قدراتنا تزداد بمربّع عدد الأشخاص الذين يؤمنون بنا.

ـ ماذا يعني هذا الكلام؟

ـ لم تستمع جيّداً إلى دروس الرياضيات، قال عقراب بشدّة، هذا يعني أنه لو كان لي مؤمنان فإن قدراتي تتضاعف أربع مرات ولو كان لي ثلاثة مؤمنون ستكون قدرتي تسع مرات أكبر، أربعة مؤمنون ستكون قدرتي ستة عشر مرّة أكبر وهكذا...

ـ إذن، قال اندرول بذهنه المتوقّد، لو كان لك مئة مؤمن ستزداد قدراتك بعشرة آلاف مرّة.

ـ بالضبط.

ـ ولو كان لك مليون مؤمن سيزيدون قدرتك مئة مليار مرّة.

ـ ألف مليار. لقد نسيت صفرا، ولكن هذا كثير. اعتقدت دائماً أن بعض الآلهة لها قدرات أكثر من اللازم.

ـ وأنت ليس لديك شيء الآن.

ـ بالفعل، أنت الوحيد الذي يؤمن بي على هذه الأرض. لو كنتم فقط اثني عشر فهذا سيضاعف قوّتي مئة وأربعة وأربعون مرّة. وهذا يكفي. أعرف شخصا بدأ بنفس العدد ونجح بعد ذلك جيّدا.

ـ ربما نستطيع التحدث مع أصدقائي.

ـ لا. ليس في البداية على كل حال. أنفر من استغلال براءة

الأطفال. أعرف آلهة تستهدف الأطفال في ترويجها. لست منهم.

ـ ولكنني طفل.

ـ أنت مختلف لأنك تؤمن بي منذ الولادة تقريبا.

ـ كيف ذلك.

ـ المسألة ليست سهلة. إنها جينة ورثتها عن أحد أسلافك منذ زمن كان لي فيه عشرات الأتباع على الأرض.

ـ جينة.

ـ نعم إنّها شيء داخل خلايا جسدك والتي أورثك إياها أجدادك وأجداد أجدادك. مثلا عندك جينة جعلت منك أسمر مثل أبيك، وأخرى جعلت وجهك مستديراً مثل أمّك. ومن بين تلك الجينات توجد جينة عقراب لم تظهر إلا عندك.

ـ إذن سيكدال لها ـ أو عندها جينة يسوع.

ـ بمعنى ما، وإذا تزوجتما يوماً سيكون بعض أطفالكما لهم جينة عقراب والآخرون جينة يسوع، وآخرون ليست لهم جينة دينية تماماً.

ـ أعتقد أنّها جاءتني من سلالة أمي. قال اندرول بعد برهة تفكير. لقد اعتقدت دوماً أن جدي لأمي يمكن أن يؤمن بك. نستطيع زيارته يوما.

•

ـ لم لا أرغب؟ أرغب في التعرف عليه.

يوم الأحد ذهب اندرول وعقراب جهة الميناء، كان يوما ربيعيا رائعاً. وبعد مسيرة ساعة وصلا إلى المنارة.

كان جون كريستوف متكئا على الحاجز في أعلى البرج يدخن غليونه، بالكاد لمح اندرول ورفيقه حتى أشار إليهما بترحاب وصاح بصوته السعيد: «هاي بحّارة! تعاليا إلى مقدمة السفينة واستنشقا هواء البحر العليل».

دفع اندرول الباب الحديدي الصغير في قاعدة المنارة ونظر إلى السلّم الحلزوني وهو يقول:

ـ والآن فلنبدأ بصعود ٣٥٨ درجة، إنها ليست مهمة سهلة.

ـ نستطيع أن نتجاوز هذه المشاق، هذا في استطاعتي.

قام عقراب بحركة سحرية فبدآ مباشرة بالارتفاع من بئر السلّم في حركة أرقّ وأسرع من حركة المصعد.

بعد بضع ثواني وصلا إلى ممرّ المنارة أين وقف جون كريستوف لاستقبالهما. قبّل اندرول جدّه وعرّفه بعقراب:

ـ تشرّفنا، قال جون كريستوف، ولكن بحق الشيطان كيف استطعتما الصعود بهذه السرعة، أحسن المتسلّقين يبقون على الأقل ستة دقائق.

ـ عقراب قام بمعجزة صغيرة يا جدي ليُجنّبنا التعب.

ـ معجزة! كيف ذلك؟ هل أنت مشعوذ؟ قال جون كريستوف وقد ارتفع حاجباه الأبيضان.

ـ عقراب إله يا جدي.

وجه جون كريستوف الذي لفحته الشمس لم تبد عليه الدهشة:

ـ إله! هذا شيء جديد. في سفراتي رأيت العديد من الأشياء ولكني لم أقابل إلهاً قطّ. هل أنت متأكد أنك موجود سيدي!؟ كيف يمكنني أن أدعوك؟

ـ عقراب ببساطة، ودون تكلّف. أنا سأناديك جون كريستوف. نعم أنا متأكد أني موجود.

ـ طلبت منك ذلك لأني عندما أشرب أكثر من اللازم تحدث لي خيالات ورؤى غريبة.

ـ ولا تعتقد في تلك الخيالات؟

ـ ليس كثيرا، لماذا؟ هل يجب أن نعتقد بها؟

ـ هذا يتعلق بنوعية الشراب الذي تناولته وكميته. إذا شربت فقط ما يوسّع المخيّلة فيمكنك رؤية أشياء صحيحة لا يمكنك كشفها بغير تلك الطريقة. ولكن إذا أسرفت فإن أبالسة الجحيم ينتهزون الفرصة التهريج معك قليلا.

ـ إذن فالأبالسة موجودون أيضاً!

ـ طبعا! بعدد الآلهة.

أدخلهما في الأثناء جون كريستوف إلى الغرفة الداخلية الصغيرة تحت المصباح. من النوافذ نكتشف امتداد ميناء كيرباك والمصب الضخم لنهر البيتينغ المغطى بالسفن، وفي الغرب الامتداد الهائل لبحر الفضة الكبير تسبح فوقه سحابات وردية مليئة بالوعود. أجلسهم حول طاولة من الخشب القديم وضعت وسط الغرفة. وقال:

ـ هل أصبّ لك شيئا من شراب البوتسينغ؟ إنه خفيف برّاق. وأنت يمكنك أن تشرب نصف كأس أيها النوتي الصغير. وبعد أن أخذ جرعة التفت إلى عقراب وواصل، إذن أنت تصنع المعجزات.

ـ في حدود، ولكن إذا آمنت بي يمكنني أن أضاعف قدراتي أربع مرات.

ـ أنا أعتقد فيما أرى. أنت هنا أليس كذلك؟ هذا أومن به. ولكن مسألة أن تكون إلهاً فتلك مسألة أخرى.

ـ هل هناك معجزة تريدني أن أقوم لك بها؟

ـ أعرف عديد الأشياء التي يعتبرها البشر معجزات، ولكن هناك شيء واحد لم أستطع فعله: منع العصافير من الوصول إلى مصباح المنارة ليلاً والتحطّم عليها. فهي تجلبهم كما تعلم، وفي الصباح أجمع دزينة من النوارس وخطاف البحر وأحياناً بعض القطاريس، وهذه العملية

تدمي قلبي. لقد حاولت كل شيء لكن دون فائدة، فلو كانت لك معجزة تنقذ العصافير فإن هذا سيسعدني كثيراً.

ـ هذا سهل، قال عقراب وهو يقوم بحركة سحرية، اذهب وانظر ماذا هناك فوق المصباح.

عندما عاد جون كريستوف كان يحك لحيته البيضاء باستغراب وهو يتمتم:

ـ يوجد شيء لم يكن موجوداً من قبل، مثل علبة مصبرات بقرون!

ـ هذا باثّ فوق ـ صوتي سيبعد العصافير أكثر ممّا يجلبهم الضوء.

ـ وهل سينجح؟

ـ سنرى ذلك غداً صباحاً.

من الغد تجسّد عقراب عند ممرّ المنارة قرب الجدّ

ـ إذن؟

ـ الواقع أعترف أنها ناجحة، قال جون كريستوف وهو يمسك بغليونه ويبصق من فوق الحاجز، لم أجد أي عصفور، إنها المرة الأولى.

ـ هل تؤمن بي؟

ـ أعتقد أن هذا واجب... لكن في ديانتك هل هناك الكثير

من القدّاس والرهبان؟ أنت تعلم أني إلى حدّ الآن لم أومن بشيء مهمّ وكل هذا التصنّع يصيبني بالغثيان.

ـ ليس هناك لا قداس ولا رهبان. ليس هناك إلا نحن الثلاثة اندرول وأنت وأنا.

ـ هذا ليس كثيراً.

ـ هذه بداية. أنت موافق.

ـ إله ينقذ العصافير هذا يلائمني. اتفقنا عقراب. ولكن الآن وقد أصبحت من أتباعك ماذا يمكنني أن أقدّم لك؟

ـ واصل حراسة منارتك.

قام عقراب بحركة سحرية وقال: «من الآن فصاعداً كل من تضيئه المنارة ويكون في ضيق سيجد الأمل. هذا ما يمكنني تقديمه لهم الآن على الأقل. سأحاول أن أساعدهم أكثر في المستقبل».

يمسح ضوء المنارة جزءا كبيراً من مدينة كيرباك. ودون أن ينتبه أحد انخفض عدد المنتحرين في الأسابيع اللاحقة وبدا الناس أقلّ انقباضاً وهمّاً.

أثناء الربيع كسب عقراب مؤمنَيْن جديدين: متشرّد يدعى كروبنيك تعرّف عليه في زقاق من أزقة الميناء، والدكتورة إيليا لابور التي تقع عيادتها في نفس عمارة عقراب.

يقضي كروبنيك أيّامه قرب مصنع تصبير السمك، ويقضي الصيف في ردهة تسليم البضائع حيث يهبّ هواء عليل. أمّا الخريف فيقضيه أمام قاعة التسخين في البخار الدّافئ لطناجر التعقيم الضخمة. يجد بين فضلات المصنع طعاماً وفيراً صالحاً للأكل نسبياً. همّه الوحيد أنّه لا يجد إلا بقايا السمك مما يحرمه من أكل اللحم. وكروبنيك يحب اللحم كثيراً.

حاز عقراب على إعجابه بأن أخرج له من العدم همبورغر ساخناً مليئاً بالبطاطا المقليّة والطماطم.

هذا طبعاً لا يكفي لإقناع بالإيمان وهذه لم تكن نيّة عقراب. إن الموسيقى هي التي أوصلت المتشرّد إلى الله. في شبابه كان كروبنيك يكسب قوته بالعزف أمام المقاهي. كان يعزف الهارمونيكا. الحقيقة أنه لا يعزف جيّدا. الزبائن يعطونه القطع النقدية ليعزف بعيداً عنهم. من تلك الفترة احتفظ كروبنيك بالآلة. ومن حين إلى آخر حين يحسّ الوحدة

تجتاحه ليلاً أمام المصنع يعزف بعض المقاطع النّاشزة لكنّها مفعمة بالحنين على الهرمونيكا.

هذا ما جلب انتباه عقراب بعد مسألة الهمبورغر تبادلا الحديث واهتمّ بما يحفظ، أغاني مكرّرة من ٥٠ سنة وأكثر. حفظ عقراب بعضها وجلب قيثارته، وليلاً على الرّصيف الخالي يكوّنان ثنائيّا غريبا.

تكررت التّجربة حتّى أصبحت عادة، بهدوء حسّن عقراب أذن كروبنيك وبدأ موسيقِي الشّوارع العجوزُ يتحسّن شيئا فشيئا حتى أصبح بارعا في عزف مقطوعات كلاسيكية والجاز والروك بمهارة. جذب عزفهما بعض المارين المتأخرين ليلاً حتى اعتاد بعض الشباب على الحضور للرقص على أنغام القيثارة والهارمونيكا.

لم تعد لكروبنيك أي مشاكل في المصاريف اليومية. القطع التي يلقيها له الجمهور تمكّنه من الأكل جيّداً كل يوم وحسب رغبته. كان يمكنه الانتقال للسّكن في مكان آخر، لكنه بقي وفيّا لركنه على الرّصيف حيث أعدّ كوخا صغيرا، وعلى مشوى مرتجل يشوي نقانقه ولحم الضأن يأكلها مع زجاجة بوتسينغ. متأثرين بضوء كريستوف المهدّئ تركه رجال الشرطة دون مشاكل، لم يعش أبداً بمثل هذه الراحة.

التفت كروبنيك إلى رفيقه ليلة بعد الانتهاء من كونشيرتو لفيفالدي وكان ما يزال تحت نشوة الموسيقى وعيناه مليئتان بالحب والاعتراف بالجميل وهمس:

ـ لقد قمت بمعجزة تجاهي. قل الحقيقة هل أنت ملاك؟

ـ الرّتبة الأعلى، أجاب عقراب، أنا إله.

ـ لتهرسني أنياب القدر! بعد أن قهقه بضحكة مجلجلة،

ـ هل تصدّقني إذا أتيتك بأحد أتباعي؟

ـ وهل لديك أتباع؟

ـ اثنان لحدّ الآن. أفضّل أن يحدّثك أحدهما عنّي. لا أريد أن أفتخر بأعمالي.

الأحد المقبل. صاحب اندرول عقراب إلى موقف كروبيك وتركهما بمفردهما. عندما عاد عزف المتشرد عزفا رقيقا بالهرمونيكا وقال:

ـ آمنت بك عقراب

ـ شكرا. ها أنّي أقوى بتسعة أضعاف.

مع الدّكتورة حدثت قصّة أخرى... ايليا لابور امرأة في الخمسين بشعر رمادي ونظرة ذكيّة وثاقبة،

ولكنّها دائمة الإرهاق. في كلّ صباح يراها عقراب الذي يذهب ليتناول الفطور في الحانة الصّغيرة... يراها تشرب قوة سوداء إثر أخرى قبل الذّهاب إلى المستشفى.

يحدث ألاّ تعود إلى منزلها قبل منتصف الليل. عندما تجد الحانة مفتوحة ليلا، تتوقّف من أجل كأس ويسكي وسيجارة.

هناك اختار عقراب التّحدّث معها... جلس قربها ورأى النّادل يضع كأس الو يسكي على الطّاولة قال لها برقّة:

ـ لو كنت مكانك لما شربته.

نظرت إليه بغضب ـ لماذا؟ ألا تحبّ الويسكي؟ ـ

ـ عندما يكون جيّدا. ولكن بهذه الحالة التي أنت عليها وهذا التّعب لن يكون جيّداً من أجلك.

ـ هل أنت طبيب؟

ـ لا. أنت الطّبيبة وتعلمين أنّي على حقّ.

ـ أنت تعرفني

ـ أسكن شقّة عمارتك في الطّابق ١٣.

نظرت إليه بعناية:

ـ آه نعم رأيتك من قبل، أنت أستاذ الموسيقى، لك اسم إنكليزي أو أمريكي...

ـ اوكراب إنّه اسم الشهرة

ـ أنت على حق الويسكي لا يلائمني ولكنه الشيء الوحيد الذي يجعلني أواصل هذه المهنة، الليلة سأشرب كأسين.

ـ عندي اقتراح من أجلك هل تسمحين.

أشار إلى النادل أن يأتيه بزجاجة في أعلى الرّف علامتها خضراء شفافة صهباء. حملها النادل وهو يتمتم أنه لم

يستعملها منذ بدأ العمل. لكنه ملأ كأسين ووضعهما على الطاولة. كان السائل قزحيّا متلألأ مع بعض الفقاعات التي تطفو على السطح.

شربت الدكتورة جرعة وقالت: «إنّه لذيذ». بعد الجرعة الثانية تنهدت ثم ألقت على عقراب نظرة شك. وهي تقول:

- لم أحسّ قط بهذه الراحة، أجزم أن هذا الشراب به مهدئ للأعصاب. إذا كنت تاجر مخدرات...

- لا. لا. اطمئني هذا شراب طبيعي تماماً.

- أستطيع أن أرى الزجاجة؟

لكن النادل بحث عن الزجاجة دون جدوى. لقد اختفت الزجاجة ذات العلامة الخضراء. أظهرها عقراب فقط وقت الاستعمال. إنّه الشراب الذي يقدمه للمحظوظين في جنّته، ولو تعوّد عليه الناس لنفذت مدخراته بسرعة.

شربت إيليا جرعة أخرى وهي تقول:

- أوه فليكن أي شيء! المهم أن نحس أننا في حالة جيّدة.

فجأة انخرطت في البكاء. وضع عقراب يده على كتفها وهمس بصوت رقيق:

- إيليا ما الذي يؤلمك؟

- عفوا سيد عقراب، قالت وهي تمسح دموعها، منذ مدة طويلة لم أبك، هذا يريح. المهنة التي أقوم بها لا ترحم.

ـ هل تقومين بها من مدّة طويلة؟

ـ منذ ثلاثين عاما، ولكن هناك أشياء لا يمكنك أن تتعوّد عليها. هذا المساء خاصة سيد عقراب أرغب في ترك بذلة الطب هذه على الأبد.

ـ ماذا حدث؟

ـ لديّ مريضة، شابة رائعة، أعالجها منذ أشهر كنت آمل في شفائها، لكني تلقيت الليلة آخر التحاليل، إنه سرطان متفشي، ستموت خلال ثمانية أيام ولن أستطيع شيئا لإنقاذها. وعادت للبكاء.

ـ ما اسم هذه الفتاة؟

ـ ميرا بوارت عمرها ٢٢ عاماً.

ـ في المستشفى؟

ـ نعم، في الغرفة ٣١٠.

أوصل عقراب إيليا إلى باب غرفتها وقبل أن يتركها مرّر يده على جبينها وهو يهمس: «إيليا نامي جيّداً ولا تيأسي».

عند ظهر الغد كان عقراب يعطي درس موسيقى لتلاميذه عندما رنّ جرس الباب. عندما فتحه كانت إيليا واقفة عند المدخل في حالة غريبة.

ـ سيد عقراب، هل يمكنني التحدث معك؟

ـ سأنزل إليك بعد الانتهاء من الدرس مباشرة.

كانت إيليا في انتظاره في عيادتها، بحركة سريعة أشارت إلبه بالجلوس، وأشعلت سيجارة ثم ناظرة إليه مباشرة في عينيه سألته:

ـ ماذا فعلت لها؟

ـ لمن؟

ـ لا تتصنّع البراءة. ماذا فعلت لميرا؟

ـ كيف حالها؟

ـ هذا ما أسألك عنه. إنها في حالة جيّدة إلى درجة أني أفكر في إخراجها من المستشفى خلال بضعة أيام.

ـ اعتقدت أنها ستموت.

ـ كانت ستموت، لا أعتقد ذلك. أنا أعلم، تحاليل البارحة كانت واضحة وأنا أعرف مهنتي. ولكن هذا الصباح لم نجد أي أثر للسرطان. أي أثر، إنها في صحّة جيدة.

ـ أنا سعيد من أجلها، ولكن ما دخلي في الموضوع؟

ـ لأنك الشخص الوحيد الذي حدّثته عن التحاليل البارحة، ولأن الممرّضة الليلية رأتك البارحة تدخل الغرفة ٣١٠ كنت ترتدي بذلة بيضاء ولكن الوصف الذي قدمته للحيتك وقصّة شعرك جعلتني أتعرّف عليك فورا.

ـ هل تجدين أني أسأت التصرف؟ قال عقراب وهو يخفض رأسه.

ـ على العكس! ولكني أريد أن أعلم ماذا فعلت. اسمع أنا امرأة علم ولا أثق إلا بعقلي ومعرفتي. هذه الفتاة كانت ستضيع ولا شيء يمكنه إنقاذها. أن تبرأ الآن هو استحالة علمية، والاستحالة العلمية حينما تحدث تحمل اسماً ويدعى معجزة.

طال الصمت، ثم رفع عقراب رأسه وقال ببطء:

ـ إنها معجزة.

ـ أنت تقوم بالمعجزات.

ـ أقوم بذلك عندما أستطيع، ثم متردداً في قول الحقيقة واصل، ستسخرين مني ولكن... الحقيقة، أنا... إله.

ـ إله! قالت وهي تسحق عقب سيجارتها في المنفضة، ليست الفكرة التي كانت لدي، على كل حال لم أومن قط بإله أو شيطان، ولكن علميا وعقليا أنا مرغمة على الاعتراف أنك قمت بمعجزة، وبما أن المعجزات لا توجد لدى البشر فالمنطق يفرض عليّ أن أستنتج أنّك كائن فوق الطبيعة.

ـ إن الإله طبيعي تماماً.

ـ هذا يتعلّق بالفكرة التي لديك عن الطبيعة. إذن فلنفترض أنك إله، هل يمكنك أن تكرّر ما فعلته مع ميرا؟

ـ ليست لدي الإمكانيات الكافية لشفاء سرطان متفش كل يوم.

ـ ما الذي يلزمك؟

ـ مزيد من الناس الذين يؤمنون بي، ليس هناك الآن سوى ثلاثة.

أشعلت إيليا سيجارة وبقيت تتأمل الدخان.

ـ فلنقل أربع. قالت بعد صمت طويل.

ـ تريدين القول أنك تؤمنين بي؟

ـ عقلي يملي على ذلك، إنها ليست عملية إيمان إنه إثبات علمي. ولكن بما أنك إله هل يمكنني أن أطلب منك رجاء. عندي في المستوى في الفقرة الرّابعة من عمودي ألم عذّبني طيلة سنين. زملائي أخصائيّو الروماتيزم عجزوا تماماً عن شفائي، هل تستطيع شيئا من أجلي؟

ـ هذا في مقدوري خاصة وقد أصبح لدي أربعة مؤمنين.

قام عقراب بحركة سحرية بيده وسرعان ما لمعت بسمة رائعة على وجه إيليا.

ـ أووف! الآن أنا أومن بك تماماً.

في ذات الصيف ذهب اندرول ليقضي العطلة مع أبويه في منزل تستأجره العائلة في أعالي وادي الجبال الزرق. لم يذهبوا بالسيارة الزرقاء وهذا ما يحز في نفس اندرول، لكنهم ركبوا السيارة الصغيرة التي يحتفظ بها أبوه في المستودع.

كان الطقس جميلاً والهواء عليلاً، لم يكفّ جون ماري على ملء رئتيه بالهواء العليل مكرّراً: «ها نحن نستنشق الهواء النظيف، أحسن من روائح الفضلات المنزلية، رغم أنهم أصبحوا يضعونها في أكياس بلاستيكية».

إلى حدّ الآن لم تكن لاندرول أيّة آمال في الحياة غير أن يصبح عامل نظافة مثل أبيه. دون أن يحبطوا هذا الهدف يحاول الأبوان أن يوجها ابنهما وجهة أخرى.

- إذا درست جيّداً يمكنك أن تصبح مهندساً في معمل رسكلة الفضلات، فكر أن في سبتمبر ستدخل المرحلة الثانوية.

صاما أذنيه عن هذه المحاولات تشبّث اندرول بحلمه: يريد أن يقود شاحنة حمراء مثل أبيه.

وفوجئ الأبوان عندما أخبرهم إثر عودته من جولة في الجبل:

- إمّا أن أصبح عامل نظافة أو سأصبح نبيّا!!!

ـ نبيّ؟! صاحت فلورنس وهي تفتح عينيها من الدهشة، أين يتمّ تعليم النبوّة هل توجد مدارس؟

ـ لا يمكن تعلّمها، إمّا أن تكون نبيّا أو لا تكون.

يجب القول أنه أثناء جولته التقى اندرول عقراب وهو يرتدي رداء كبيراً لراعي ممّا جعله يشبه «زورو» فبادره بالقول:

ـ هل تقضي عطلة سعيدة يا اندرول؟

ـ سعيدة جداً، ولكني أشتاق إلى رؤيتك.

ـ اصبر قليلاً، ستجد مفاجأة جيّدة، هل تعلم؟ أصبح عندي ثمانية مؤمنين.

ـ هناك جدد؟

ـ نعم، كراك بوم عامل في تصبير السمك وصديق كروبنيك، والشابة ميرا مريضة الدكتورة إيليا. والأستاذ بيك زامب عالم طيور في الجامعة.

ـ ما معنى...؟

ـ إنه شخص يهتم بدراسة العصافير، أراه جدك الآلة الصغيرة التي وضعتها فوق المنارة، وقد اكتفى بذلك كي يؤمن بي.

ـ ومن الرابع؟

ـ إنّه أستاذك في المدرسة الإعدادية.

ـ العجوز بيتسوك!

ـ ليس عجوزاً! بالكاد بلغ الأربعين، لقد وهبته ملكة اللغات.

ـ ما معنى ملكة اللغات؟

ـ هذا يعني أنه متى تكلّم فإن كلّ الناس تفهمه. سأجعل منه نبيّي.

ـ أنت تستعمل دائماً كلمات لا أفهمها.

ـ النبيّ هو الشخص الذي يتكلم باسم الإله إلى الناس ويعرّفهم به ويعدّهم لقدومه.

ـ لقد كنت أوّل من آمن بك، كان بإمكانك أن تجعلني نبيّك. قال اندرول بشيء من الهزل.

ـ يمكنك أن تكون يوما، ولكنك ما زلت صغيراً الآن.

ـ سأدخل المدرسة الثانوية في سبتمبر.

ـ ليست مسألة دراسة. ولكن لتكون نبيّا يجب أن تعيش كثيراً وأن تكون لديك تجارب، لا يمكنك بغير ذلك أن تجيب عن أسئلة الناس.

ـ يمكن أن تعلمني.

ـ إنها مسألة لا تلقّن. تجد الأجوبة في وحدتك وستجدها يوماً.

ـ متى

ـ في يوم ما، أعدك، أتثق بي؟

ـ طبعاً عقراب

وضع الإله رأسه على رأس اندرول قائلاً:

ـ إذن إقضِ عطلة ممتعة، وسنلتقي عندما تعود.

لم تعد العائلة للحديث عن مشاريع اندرول. فقط في المساء قالت فلورنس لزوجها عندما أويا إلى الفراش:

ـ ماذا تعتقد أنه قصد بحكاية النبي تلك؟

ـ لا أعلم، ربما يفكر أن يصبح منشّطا تلفزيا، هذا يشبه كثيراً النّبي.

عندما عادت العائلة إلى كيرباك صعد اندرول قفزا إلى شقّة عقراب. كانت الشقة مليئة بالناس، عشرة زائرين يجلسون على الكراسي والزرابي والسرير.

ـ مرحبا اندرول، قال عقراب، جئت في الوقت المناسب. أنتم الآن أحد عشر. تعال أعرّفك بالجدد.

كانت هناك السيدة فلورا صاحبة الحانة التي يشرب بها عقراب قهوة الصباح، وصحفي يحرّر قسم الأحوال الجوية في جريدة «مستقلة كيرباك» ومزارع من الأحواز يأتي من أجل بيع محصول الجزر في سوق الأحد علم اندرول أن اسمه فالب بيتسوك.

ـ أصدقائي، قال عقراب، لا ينقصنا سوى مؤمن واحد ونصبح اثني عشر، ثلاثة عشر بي أنا. وهو العدد الذي

يمكننا أن نبدأ به العمل الجاد. لقد فكرت بشخص يا اندرول، صديقتنا سيكدال لقد عادت من عطلتها أمس.

ـ سيكدال؟ إنها تؤمن بيسوع.

ـ هذا لا يقلقني، ربما يقلق ذلك موظفي يسوع مثل الأب كتبوك لأن لهم هوس الاحتكار. ولكن يسوع نفسه ليس بالشخص السيئ أبداً. إنه متسامح جداً، لقد عرفته منذ الزمن الذي جاء فيه إلى الأرض مثلي، وأنا أتّفق معه في العديد من النقاط. ولكنه ابن طبيعي ليهوذا ولذلك فقد ماثله. وهذا لم يمنع أنّه ترك منشآت تنافس بعضها البعض. أرجو في النهاية أن واحدة تنقص أو تزيد لن تمثل مشكلاً بالنسبة إليهم. هل تستطيع أن تتكلم مع سيكدال؟

ـ الحقيقة...

المسألة لا تتمثل في خجل اندرول فهو يعرف سيكدال منذ مدة طويلة جداً، ولكنها في الشهور الأخيرة تغيرت كثيراً. كبرت أسرع من رفيقها واتخذت شكل صبية يافعة ولذلك فهي تعامله بشيء من الاستعلاء

ـ هل تخيفك؟ قال عقراب الذي يقرأ أفكار الفتى.

ـ لا. لا. ولكني أتساءل إن كانت ستسمعني.

ـ مازلتما تلعبان الكجات في المدرسة الثانوية.

ـ أعتقد ذلك.

ـ إذن اقترح عليها لعبة بعقيق. قال عقراب وبحث في جيبه ومدّ الكوكب لاندرول.

بدأت الدراسة بعد أيام، أغلب رفاق اندرول نجحوا وكانت لقاءات عذبة. كل تلميذ يحكي مغامراته في العطلة. منهم من ذهب ضمن المخيمات الصيفية أو إلى شاطئ الرمال الذهبية أو الصخور البلورية، وآخرون إلى الجبل وآخرون إلى ضيعات أجدادهم التي حول كيرباك.

ـ وأنت سيكدال أين ذهبت في العطلة؟

ـ أنا تدربت على المراكب الشراعية في شاطئ الرمال الذهبية. أبو سيكدال ر.م.ع. معمل المصبرات لديه الإمكانيات لتقضي عائلته عطلة في أحسن فنادق الساحل.

وقت الراحة اقترب اندرول من سيكدال واقترح عليها لعبة كجات. ولكنها قالت بامتعاض:

ـ الكجات لعبة أطفال.

ـ ألم تعودي ترغبين في اللعب؟

ـ ليس كثيرا، أرغب أكثر في كرة الطائرة. لقد كبرتْ حقّا وبجسمها الرشيق يمكن أن تكون لاعبة كرة طائرة جيّدة.

ـ إنّه اليوم الأول يمكننا أن نلعب مرّة واحدة. قال اندرول متوسّلا. ثمّ أنّ فريق الطّائرة لم يتكوّن بعد. أنا سأنتمي

إلى فريق الرّكبي ولكن هذا لا يمنعني من لعب الكجات هيّا سيكدال رجاء. نفضت شعرها الذّهبي وقالت:

ـ لنلعب من أجلك، هل عندك كجّات؟ لقد تركت الكيس في المنزل.

ـ جيبي مليء. خذي هذه التّحفة العبي بها.

سحب عقيق من جيبه ومدّه إلى سيكدال. أخذته الصبية وتأمّلته بإعجاب:

إنّها رائعة لم أرَ في حياتي مثلها كأنّها تنبض حياة. فهو يدور حول نفسه وحول الكجات دورات فائقة وكأنّه يختار هدفه بمفرده ومن بين الأصابع الخبيرة لسيكدال كان يرسم أقواسا أليفة ودقيقة كلما لمس كجّة فكأنّما نسمع رنينا كرستالياً أو ترى التماع باقة من الأضواء المدغدغة. بانبهار لعبت سيكدال دون توقّف حتى رنّ الجرس معلنا عن استئناف الدّروس.

ـ أين وجدت هذه العقيقة؟ سألت وهي ترجعها إلى اندرول.

ـ أعطاني إياها عقراب.

ـ عقراب؟

ـ ألا تتذكرين حدّثتك عنه مرة إنّه إلهي. عقيق ليس عقيقة كالأخريات، إنّه كوكب خلقه عقراب.

ـ أنت مجنون؟ كل الناس تعلم أنّ الله هو من خلق العالم.

ـ ليس هناك إله واحد وليس هناك عالم واحد.حيث ينتظر أستاذ الرّياضة ولكن بقية الصباح رآها اندرول مفكّرة مطرقة.

في منتصف النّهار تعمّدت الجلوس قبالته في المطعم المدرسي.

ما اسمه هذا الذي تدعوه إلهك؟ سألت فجأة.

ـ عقراب.

ـ هل لديه كنائس؟

ـ لا. في ما أعتقد، على كلّ يمكنك أن تسأليه إن أردت.

ـ أيمكننا التحدث إليه؟

ـ نعم أنت تعرفينه جيّداً إنّه السّيّد أوكراب أستاذ الموسيقى.

ـ أوكراب... عقراب لم أحاول أن أجمع بينهما. أنت تقول إنّه إله؟ صحيح أنّه طيّب ورقيق... سأسأله في الدرس القادم عن صحّة ما قلت. ولكن قبل ذلك سأحدّث الأب كاتابوك في درس الوعظ الديني.

ـ من الأحسن ألا تفعلي. الرهبان لا يحبّون كثيراً آلهة غير التي يؤمنون بها انتظري حتى تتحدثي مع عقراب.

في نهاية الأمر لم تتحدّث سيكدال مع أحد. ولا أحد علم ما دار بينها وبين عقراب. ولكنّها حضرت في اجتماع المؤمنين.

ـ ها أنّكم أصبحتم ١٢ ، قال عقراب وهو يتأمّل الوجوه المجتمعة حوله. يمكننا الآن أن نبدأ العمل. سنوزّع المهام :

بيتسوك، لقد جعلتك نبيي من قبل سيكون لك أن تنشر كلامنا، ولكن احرص على احترام قناعات الآخرين.

ـ أنا أستاذ لائكي، قال بيتسوك، إنّها مهمّتي.

ـ إيليا ستهتمّين بمعالجة المرضى بمساعدة ميرا. سأمنحك البعض من قدراتي السّحريّة... فلورا أنت ستبيعين التسوخ في حانك.

ـ تسوخ؟

ـ المشروب التي شربت منه إيليا تلك الليلة، النادل لم يجد الزجاجة لأنّني أخفيتها. الآن لدي القدرات اللازمة لأصنع الكميات الكافية. إنّه مشروب يعطي السعادة دون أن يتلف العقل أو الصحة. وطبعاً هناك من يفضل شراب البوستينغ يمكنك أن تسقيهم إياه. كروبنيك ستقدّم العروض الموسيقية التي علّمتك إياها. كريستوف طالما أنك بحّار ماهر ستجوب العالم لتحاول إصلاح الأمور السيئة. بالطبع لن تصلح إلا جزءاً يسيراً ولكنها مجرّد بداية. أنتما فلاب والأستاذ بيك ستسافران معاً لتعلّمان الشعوب الجائعة كيف يزرعون الخضر الجيدة والغلال المفيدة وكيف يعتنون بحيواناتهم، أحدكما عمليا والآخر علميّا. ستكوّنان فريقا ناجحا.

ـ وأنا؟ قال كراك، على ذكر العلم والتطبيق، كلّ ما أعرفه هو مراقبة معقّم المصبرات.

ـ أنت تستطيع الكثير. أنت عضو في حزب العمال

الديموقراطي والكنفدرالية الموحدة للعمال. بإمكانك الاعتناء بواقع الناس وبمشاكلهم اليومية، بحقوقهم وواجباتهم، ستواصل ذلك.

التفت عقراب إلى سيكدال وقال لها بصوت مشجع:

ـ أنت ستحاولين أن تصبحي بطلة، جسمك الرشيق يصلح لألعاب القوى والرقص. ستعملين على السيطرة على جسدك ورقّتك. بقي جون واندرول أنتما ستبقيان معي لمساعدتي في تأليف كتابي، جون كصحفي متعوّد على صياغة الجمل، أنا سأقول الفكرة وأنت تحررها بالشكل المناسب.

ـ أنت تعلم أني أهتم خاصة بالنشرة الجوية.

ـ أقدار الناس كالسحب تتراكم وتتفرّق. ستتمكّن من القيام بهذه المهمة على أحسن وجه. بالنسبة إليك اندرول أول من آمن بي سيكون لك شرف كتابة المؤلَّف بيدك أعلم أنّ لك خطّا جميلا.

نظر اندرول لبيتسوك أستاذه القديم الذي قال:

ـ بالنسبة إلى الخط جيد، ولكن انتبه إلى النحو والإعراب.

ـ إن الحصول على نحو ممتاز يحتاج دوماً إلى معجزة، سأساعده.

كل ليلة حوالي الثامنة والنصف تضاء منازل كيرباك بنور التلفزات المزرقّ.

منذ دخوله المدرسة الثانوية يسمح والدا اندرول له بالبقاء حتى نهاية شريط السهرة، ولكن يبدو أنه فقد الرغبة في مشاهدة التلفاز. فمنذ عودته من المدرسة يقوم بإعداد الدروس دون التفرج حتى على الصور المتحركة في السادسة، ويأكل بسرعة ثم يقول أنه سيذهب للنوم. بمجرّد وصوله إلى غرفته يوشوش: «أنا جاهز يا عقراب». سحريا يخترق سقف الغرفة ليجد نفسه في شقة عقراب في الطابق الثالث عشر حيث ينتظره جون سيراك وعقراب.

بينما يدخن جون سيجارة تلو أخرى مشغّلا المسجّل يروح عقراب ويجيء داخل الغرفة ملقياً أفكاراً مبعثرة في أغلب الأحيان. يكتب اندرول ملاحظات منتبها خاصة إلى الصياغة التي يراها موقّعة أكثر من غيرها.

ـ المسألة الأولى، يقول عقراب «**اسمعوا بعضكم بعضاً**» الاتصال أمر أساسي طور هذه الفكرة يا جون.

ـ لا أعتقد أنّها تحتاج إلى تطوير، إنّها تقول ما يجب قوله. ولكن هل ترى أنّه علينا أن نبدأ بهذا.

ـ دون الاتّصال لا شيء ممكن.

ـ نعم ولكن لنتواصل علينا أن نوجد أوّلا. النّاس تهتمّ كثيراً بخلق العالم مثلما وجد في الإنجيل مثلا.

ـ خلق العالم نقطة وقع تجاوزها. نعلم الآن أنّ الكواكب والنّجوم والمجرّات خلقت من الكون ولكن الكون نفسه لم يخلق.

ـ كان هناك بداية على كلّ حال؟

ـ لا. أبداً. إذا كانت هناك بداية فيجب أن يكون هناك شيء قبل البداية. نتحدّث عن الإنجيل ولكن في الإنجيل روح الله واليمّ وحيداً قبل البداية من الذي خلقها إذن.

أوقف اندرول ريشته حائرا. لم يعد يمكنه الفهم جيداً.

ابتسم عقراب وقال:

ـ نعم، من الصّعب على كائنات من لحم ودم مثلنا الفهم. ولكن هناك بعض علمائكم وصلوا إلى الحقيقة. لكي توجد بداية لابدّ من قبل وبعد، يعني زمن. ولكي يوجد زمان لابدّ من وجود مكان... يجب وجود مادّة، ولتوجد مادّة يجب أن توجد الطّاقة والطاقة توجد خارج الزّمان والمكان والمادّة إنّها هنا... هكذا... سها جون عن غليونه فانطفأ.

ـ آه! فهمت، كتبت بعض المقالات لتبسيط العلوم وأعلم

بعض الشيء عمّا تتحدّث ولكنّها مسألة صعبة لتمريرها للقراء.

ـ ولكن أنتم الآلهة، سأل اندرول، لابدّ أنّكم ولدتم في وقت معيّن؟

ـ هذا سؤال جيّد، أجاب عقراب، لقد ولدنا من التّيّارات التي تحرّك الطّاقة عندما ظهرت المادة وبدأ الزّمان في السّير. لقد أعنّا الجزئيات الذّريّة على التّكوّن والانتظام. طويلاً لم تكن سوى إرادات هائمة تمُوج كما قال الإنجيل في اليمّ. إنها المخلوقات المفكّرة مثلكم أنتم البشر هي التي جعلت منا آلهة.

ـ عندما تفكر في الأمر جيداً، قال جون، تجد أنك على صواب يا عقراب. من الصعب هضم الفكرة خاصة في البداية. في نهاية الأمر هناك كتب مقدّسة مثل القرآن تكتفي بإعطاء القوانين ونظم الحياة.

ـ أفضل إعطاء النصائح، قال عقراب، وكل شخص حرّ في استغلالها.

ـ إذن فلتكن نصائحا.

ـ أواصل، قال عقراب، الفكرة الثانية: «**أحبّوا أصدقاءكم، حاولوا أن تفهموا أعداءكم، ولكن لا تعطوهم هدايا ولا تخطئوا منافسيكم**».

ـ هذه يمكنني صياغتها، قال جون، ولكن ألا تعتقد أنها

ستصدم قليلاً. إنها تعارض الدرس المسيحي الذي حفظته في طفولتي. «أحبّ صديقك كما تحب نفسك».

ـ أولا، قال عقراب، إنها أنانية أن نجعل حبنا لأنفسنا هو المثال الذي يقيس عليه الآخرون، ثانيا أن تحب كل الناس يعني ألاّ تحبّ أحداً. الحب هو التفضيل.

ـ هل تفضّلنا على الآخرين؟ سأل اندرول.

ـ من أنتم؟

ـ الذين يؤمنون بك.

ـ أنتم من بين من أفضّلكم، ولكن هناك غيركم.

ـ وهل لديك أعداء؟

ـ طبعا، كلّ من يفعل الشرّ إراديا.

ـ آه الشرّ، قال جون، إنه محور كامل، أريد أن أعرف وجهة نظرك عن الخطيئة والغفران.

ـ ليس هناك خطيئة ولا غفران بالنسبة إليّ، ليس لي الحق في الحكم على أي شخص، أو مغفرة خطيئة من يفعلون الشر، إنه دوركم أنتم البشر.

ـ ولكن كيف نتعرّف على الشر؟

ـ الشرّ هو كل ما يعترض حرّية البشر، الفقر الإحباط، المرض والموت...

ـ إذن يجب أن نتحدث عن الحرّية.

ـ بالضبط، وها هي الفكرة الثالثة: **استغلّوا حرياتكم قدر ما تستطيعون، ولكن تذكّروا أنكم إذا أفرطتم في استعمالها فإنها تبتذل**».

أعجبت الصيغة اندرول فأسرع في كتابتها.

كل ليلة يعملون هكذا إلى العاشرة والنصف ثم يعود اندرول إلى سريره عندما تأتي أمه لتُقبّله بعد إطفاء التلفاز.

في نصف نوفمبر حبّر جون حوالي عشرين ورقة ونوقشت ووافق عليها الإثنا عشر في جلسة الأربعاء. بالمناسبة يُرجع عقراب جون كريستوف وفالب بيك من أقاصي الأرض حيث يقومون بمهامهم. ولديهم دائماً مغامرات لروايتها.

ـ كنت في طائرةٍ وقع تحويل وجهتها من قبل قراصنة الجوّ. لحسن الحظ لديّ بخار التسوخ رششت منه في كابينة القيادة فأصبح القراصنة وديعين كالحملان.

ـ لقد نجحت في الحصول على إيغوانة بحجم بطيخة في قرى مالي حيث يموت الناس جوعا كالذباب، هذا لا يحلّ جميع المشاكل ولكنه يساهم في حلّها.

ـ فيما يخصّني، قال بيك، لقد وزّعت في شمال شرق الهند نوعا من الدجاج يبيض ثلاث مرات في اليوم. المهم الآن أن يستغلها القرويّون وليس تجار البيض.

الآخرون لا يقِلّون عنهم حركية، إيليا وميرا شفتا ١٩ حالة سرطان و٣٠ حالة سكري وأيضاً حالة سيدا. المحاضرات

التي يلقيها بيتسوك في كل دول العالم حول حقوق الإنسان والمواطن يتابعها جمهور كثيف ومتحمس. في الغالب تختتم بعرض لكروبنيك على الأرغن. كراك مرشّح عن حزب العمال الديموقراطي للانتخابات البلدية ويتحدث الناس حوله للانتخابات التشريعيّة. باعتباره الكاتب العام لنقابات العمل المتحدة يملك كراك سلطات واسعة مكنته في بضعة اشهر من تحقيق المطالب القديمة لعمال كيرباك.

أسمت السيدة فلورا حانتها «إلى تسوخ الأصدقاء» واختصاص عقراب الذي أعجب الزبائن هزم الباستيس والتافيا والبوستينغ الجديد. سيكدال حطّمت الرقم القياسي لقفز الحواجز ورمي الرّمح للوسطيات. أصبحت معشوقة كل الشباب المحب للرياضة وهي تقود فريق كرة الطائرة للبطولة الوطنية. إضافة إلى ذلك بدأت منذ فترة الرقص الكلاسيكي وهي تخطو خطوات جيدة رغم بدايتها المتأخرة.

اتفق الجميع على نشر كتاب عقراب، ودار نقاش طويل حول العنوان. تشبّث اندرول «بكتاب عقراب» كعنوان. آخرون اقترحوا «الحقيقة» أو «أنوار»، اقترح بيتسوك «اسمعوا».

- تقريباً هكذا، قال عقراب، الحقيقة مسألة حكم ذاتي، أما الأنوار فالذي أقوله في النور أفكر فيه في الظلمة أيضاً. ولكن «اسمعوا» تبدو آمرة بعض الشيء، عموما

عندما تطلبوا من الناس أن يسمعوا فإنهم يفكروا مباشرة في أمر آخر.

جون باعتباره صحفيّا لديه حسّ العناوين اقترح «الأذن الكبرى» وقبل العنوان بالإجماع.

ـ الآن، قال بيتسوك، علينا أن نفكّر في إصدار الكتاب وتوزيعه على الجمهور هذا سيساعدني كثيراً.

ـ أعرف ناشراً، قال جون، إنه أكبر مساهم في رأسمال الجريدة. اسمه روب هونت صاحب دار نشر ميرادور.

ـ سأذهب إليه، أجاب عقراب، وسيرافقني اندرول.

تقع مكاتب ميرادور في الطابق ٢٨ من أعلى برج في كيرباك. عندما وقفا أمام موظفة الاستقبال نظرت باستغراب لهذا الملتحي ببنطلون جينز وقميص أصفر وهذا الفتى القوي ذي العينين المتيقظتين.

ـ هل لديكم موعد مع السيد هونت؟

ـ يعني... همهم عقراب وهو يقوم بحركة سحرية.

ـ انتظر سأنظر في مفكرتي، ما اسمك؟

ـ أوكراب.

ـ آه! نعم، قالت الموظفة وهي تقلّب الصفحات، السيد أوكراب الساعة الحادية عشر. غريب لا أذكر أني سجّلت هذا الاسم. السيد هونت في انتظارك.

ـ كان الناشر في حوالي الستّين ذا نظر ثاقب وحركات آمرة. ظهر عليه التّعجب من وجود اندرول.

ـ إنّه سكرتيري، قال عقراب مفسّرا.

ـ آه فهمت! إفساح المجال للشّباب، كيف أستطيع مساعدتك سيّد أوكراب؟

ـ لديّ كتاب أريد نشره.

ظهر بعض الامتعاض على قسمات السيّد هونت وقال:

ـ في العادة يهتمّ مدير النشريات الأدبيّة بالمخطوطات، كان يمكنك الاتّصال به شخصيّا.

ـ إنّه كتاب خاص بعض الشيء.

ـ هذا ما تقوله كلّ الكائنات. عمّ يتحدّث كتابك؟

ـ عن الدّين.

ـ آه... نعم... الدّين يباع بطريقة جيّدة هذه الأيّام. الناس في حاجة إلى الروحانيّة. وعن أي ديانة تتحدّث؟ عن الإسلام، أم البوذيّة، أم المسيحية؟

ـ إنّا ديّانة صغيرة جدّاً.

ـ طائفة دينيّة؟ هذا غير جيّد. هناك الكثير من الطّوائف. كتبها لا تباع إلاّ عند اتّهامهم بشيء ما.

ـ ليست طائفة. إنّه دين حقيقي بإله حقيقي.

ـ كيف عرفت أنّه حقيقي؟

ـ لأنّه أنا.

انتفض السيد هونت ونظر بسرعة إلى هاتفه، يبدو أنّه اعتقد أنّ عقراب مجنون.

ـ لا أطلب منك أن تصدّقني، واصل عقراب، ولكن من حيث المبدأ أصدُق دوماً في الإجابة عن الأسئلة لتي لا تحتمل إلاّ جوابا واحدا.

ـ آه فهمت، الدّعابة. قال السّيّد هونيت الذي انفرج وجهه. هذا رائع، الدعابة، دار النّشر ينقصها روح الدّعاية.

ـ أؤكّد لك أنّ ما أقول جدّي جدّاً.

ـ أحسن الدعابات ما تكون جدّيّة. هل لديك مخطوط.

مدّ اندرول رزمة الأوراق للناشر.

ـ «الأذن الكبرى» يجب التّثبّت إن كان العنوان غير منشور من قبل. راز الأوراق في يده وغضّن حاجبيه وواصل، إنّه قصير مبدئيا نحن لا ننشر أقلّ من ١٥٠ صفحة. وإلا أصبح الكتاب غير مربح.

بدأ في تقليب الصّفحات.

ـ إنّه مكتوب باليد؟ في العادة ترقن المخطوطات.

ـ أنا الذي كتبتها، قال اندرول.

ـ خطّ جميل يا ولدي، مقروء وواضح.

تتوقّف نظراته على فقرة، فصاح:

ـ آه تريد أن توقعني في المشاكل؟اسمع سأقرأ عليك، «**إنّ القوانين جُعِلت للبشر، وليس البشر للقوانين، إذا وجدتم أنّ قوانين بلدكم غير عادلة فتوحّدوا لتعصونها وتغيّروها**». إنه تحريض واضح عل العصيان.

ـ لماذا؟

ـ لأن القوانين هي القوانين، تجب طاعتها.

ـ حتى عندما لا نوافق عليها؟

ـ هل أنا موافق على قانون الضرائب الذي يلزمني بدفع أموال طائلة؟ ورغم ذلك فأنا أطبّقها.

ـ دون أن تغش في الحسابات؟ قال عقراب وهو ينظر مباشرة في عيني الناشر.

ـ أغشّ بطريقة معقولة. همهم وهو يخفض رأسه.

ـ إذن ما كتبته يعتبر معقولاً.

ـ بالنسبة إليّ موافق، ولكن لو أن كل موظفيّ حاولوا تغيير القوانين التي تسمح لي بتحديد أجورهم وساعات عملهم بتعلّة أنها جائرة، أين سنصل عندها؟

ـ إلى الجنّة. جنتي أنا على الأقل.

محرّكاً رأسه يميناً وشمالاً واصل الناشر تقليب المخطوط ثم أغلقه وأرجعه لعقراب وهو يقول:

ـ لا يمكننا نشره، تنقصه الحركية والمغامرات. كان

يمكنك أن تجعله رواية بوليسية أو قصّة مصوّرة. لا أعتقد أننا يمكن أن نوزع هذا النوع من الأدب.

عندما خرجا إلى الشارع لم يخف اندرول خيبة أمله. فواساه عقراب قائلاً:

- تعال ولا تغتمّ سأطبع بقدراتي السحرية عشرة آلاف نسخة من مخطوطك وأوزعه في كامل أرجاء البلاد.

نصح جون عقراب أن يحدّد سعر الكتاب بخمسة كلوب قائلاً: «لو جعلته مجانيا سيعتقد الناس أنه ترويج، ولن ينتبهوا إليه، لا يمكننا الاهتمام إلاّ بما ندفع ثمنه».

خمسة كلوب ثمن علبة سجائر عادية، إضافة إلى ذلك وجد الكتبيّون ورقة مع الكتب توضح أنه يمكنهم الاحتفاظ بثمن كل الكتب. لم يكن جون موافقا على كل هذا الكرم ولكن عقراب عارض قائلاً:

ـ لست بحاجة إلى هذه النقود، أستطيع خلق ما أريد من الأوراق النقدية.

ـ انتبه! إنها نقود مزيفة.

ـ أبدا! إذا أوجدت ورقة فإني أوجد معها الكمية اللازمة من الذهب في خزينة البنك المركزي. لا أحد يُسرَق.

لاقى «الأذن الكبرى» نجاحا كبيراً، لأن الكتبيّين كانوا سعداء بربح خمسة كلوب دون الحاجة حتى لطلب تزويد. ثم لأن الطبعة عوض أن تكون مرقونة كالعادة، فهي مكتوبة بخط اندرول، والناس مغرمون بما يخرج عن العادة. «ما أجمل خط الأطفال!» يقولون وهم يشترون النسخة.

حثّ جون صديقه الناقد الأدبي في «مستقلة كيرباك» على

كتابة مقال حول الكتاب فكتب: «إن الإبداع الأدبي قادر على إعطاء فكرة عميقة مظاهر ببساطة شبه طفولية تبدي ببراعة فائقة المعاني الكبرى المتخفية بين السطور».

اضطرّ عقراب لخلق عشرين ألف نسخة أخرى وطبيعي أن تصل إحداها إلى يد الأب كتبوك. الرّاهب المحترم يملك فكراً نيّراً واسعاً اتساع بطنه تقريباً. بألم انصاع إلى نزع ثوب الكاهن الفضفاض الذي كان يخفي كرشه الكبيرة، وأصبح محشوراً في بذلة رمادية داكنة. لكن ذلك لم يمنعه من الاجتهاد اليومي في إنقاذ الأرواح.

عادة يكون الأب كتبوك متعصّبا في الأمور العقائدية، وكان سيردّ بعنف على بعض أقوال عقراب التي تتناقض تماماً مع تعاليم الكنيسة والتي تقترب أحياناً من الزندقة أو على الأقل من المعارضة. لم ينتبه في البداية أنّه كتاب ديني. يجب القول أنّ أحد الكهنة أهداه زجاجة تسوخ، وكان يحتسي منها كأسا وهو يتصفّح الكتاب ممّا جعله في حالة فكرية متسامحة.

رغم ذلك انتفض عندما وصل إلى الفقرة الأخيرة. طيلة العشرين صفحة السابقة اكتفى عقراب بإعطاء نصائح. ولم يقدّم نفسه إلاّ في النهاية: «**هذه الرّسالة من الإله عقراب، أنا إله صغير أعمل بالقدرات التي أمتلكها. ديانتي ليست ديانة ترف لأرواح النخبة، ولا عقيدة سوقية للذين في حاجة إلى الروحانيّات وتعوزهم الإمكانيات. إنها منتوج شريف وأنتم**

أحرار في اختيار دين آخر والثقة بإله آخر. كل ما أطلبه منكم هو مقارنة النوعية والثمن المطلوب منكم. جنتي مريحة ولكنها بسيطة، ستجدون بها استقبالا صادقا دون فخفخة. لتدخلوها عليكم أن تحيوا كرجال أو كنساء أحرار وأن تنتبهوا لمن يعيشون معكم مغامرة الحياة».

صدم الأب كتبوك على الفور ولم يسترجع هدوءه إلا بشرب جرعة من التسوخ. بالنسبة إليه ليس هناك إلا إله واحد، ولا يمكن لأحد مناقشته والثمن الذي يطلبه هو الذي يحدده دون نقاش. يبدو جليا أن هذا الإله عقراب إن كان لنا أن ندعوه إلهاً ثوري خطير جداً، مع ذلك تنبعث من كتابه روائح النيّة الصافية والطيبة والصدق بحيث عجز الأب عن الغضب.

تصفّح الكتيّب من جديد مفكرا، كم من تلاميذه ومرؤوسيه قرأ الكتاب؟ وما مدى تأثيره عليهم؟ إن تسامحه يحيّره، هل أثر جمال الكلمات على عقيدته؟!

بسرعة تلا ثلاث صلوات ربانية وأربع أبانا الذي في السماوات وخمس مرّت تحية جبريل للعذراء، ثم وبعد أن أحس نفسه في حالة أحسن هاتف الأسقف بيدول. كان الأسقف قد علم بالأمر وقال ببرود:

ـ المقالة الساخرة على مكتبي، عدد كبير من رهبان الأبرشية أعلموني به. لم أكن لأعطيه أهمية أكبر من تلك

المنشورات التي توزعها الطوائف، ولكن ما يقلقني أنها ليست طائفة. هذا الكتيب موزع في كامل أرجاء البلاد ولكن يبدو أن لا أحد سمع بكنيسة عقرابية. هل لاحظت أيها الراهب أن بين مخلصيك من تأثر بهذه الأفكار؟

ـ في الواقع سيدي حدث أن سمعت كلاما مشابها لأطروحات هذا الـ... عقراب، ولكني أعيد دائماً المسائل إلى نصابها مذكراً بالكلام المقدس.

ـ لسنا وحدنا القلقين أيها الكاهن، اتصل بي القس كرباك والحاخام إسحاق ملاخ والإمام بن فلفول إمام مسجد العمال المهاجرين. كلهم يتساءلون عن هذه البدعة. لقد دعوتهم إلى مكتبي في الساعة الرابعة، يمكنك الحضور إذا أردت أيها الراهب ويمكنك اصطحاب أي شخص تراه مفيداً لنا.

ـ أفكّر بالأستاذ صوفرون، أستاذ الديانات الشرقية بجامعة كيرباك.

ـ قل له أن يأتي.

عند الرابعة اجتمع الأشخاص الستة في مكتب الأسقف الضخم بأثاثه المزخرف.

ـ سادتي، قال الأسقف، سأدخل مباشرة في صلب الموضوع، منذ أيام توزَّع في البلاد مخطوطة تدّعي أنها تقدم نصائح أخلاقية ولكن مؤكد أن لها طابعا دينيّا لأن

مؤلفها يقدم نفسه بإله، الإله... يراجع الوثيقة الإله عقراب. هل سمع به أحدكم؟

ـ لا يوجد في أي مجمع أرباب الشرق الأقصى، قال الأستاذ صوفرون، أوكيريرو في اليابانية تعني المتأخر لكن لا أجد العلاقة.

ـ على كل حال، قال القس كرباك بصرامة، يبدو أنه اسم ذو دلالة شيطانية.

ـ لا أعرف أي شيطان يحمل هذا الاسم، قال الحاخام ملاخ، وأنت أيها الزميل العزيز؟ مشيراً إلى الإمام.

ـ الإسلام له خيال أضيق من اليهودية في مسألة الشياطين أيها الصديق،أجاب الإمام، لكني أؤكد لك أنه لا يوجد في القرآن أي عقراب.

ـ يجب القول، تدخل صوفرون، أن الإله في التيبت له ألف مليار اسم ولا أحد يعرف الاسم الحقيقي، ويوم يعرف تكون نهاية العالم، يمكن أن يكون عقراب أحد هذه الأسماء.

ـ نحن اليهود أيضاً لا نعرف اسم إلهنا. لا نعرف سوى ي.هـ.ذ. كوّنّا منها يهوذا وياهافا ولكني لا أعرف كيف يمكن أن تعطينا عقراب.

ـ إنها ليست مسألة اسم فقط، قال الأسقف، هناك العقيدة، بعض أطروحات هذا الكتاب تتناقض مع تعاليم

الكنيسة مثل هذا المقطع الذي يقول: أحب أصدقاءك ولا تقدم هدايا لأعدائك.

ـ أنت تعلم سيدي الأسقف، قال الإمام مبتسما، أننا نحن المسلمون أيضاً لا نقدّم أبداً هدايا للكفرة. هذا لا ينفي أن من قبل القرآن يمكنه أن يختار قواعد الحياة التي يراها مناسبة: السني لا يفكر كالشيعي ولكنهما مسلمان جيدان.

ـ ويؤمنان بالله، قال كتبوك، أنتم توافقون أن ترك حرية اختيار الإله يتنافى مع أي ديانة جديرة بهذا الاسم.

ـ بالنسبة لليهود صحيح، قال ملاخ، عندنا عقد احتكار مع يهوذا. ولكن القْوِيمْ، الغرباء يمكنهم الاعتقاد في أي إله يريدون.

ـ أضيف، قال صوفرون، إن في الهند تَسيطر اللبرالية على هذا الموضوع، مؤكد لكل الناس إلههم المفضل لكن يمكنهم دائماً أن يعجبوا بآلهة غيرهم.

ـ أعلم، قال الأسقف، دائماً ما يتهموننا نحن المسيحيين والمسلمين بالتعصّب الديني لأن لنا إله واحد لكل الناس، ولكن هذا ظلم: إله واحد لا يقوم بتمييز عنصري أو طبقي أو عقلي يمكنه أن يكفي الكل، ولكن الناس يقدمون النيّة السّيئة وهي تقود دائماً إلى الشيطان.

ـ هذا لا يمنع سيدي، قال كرباك، إن لنا مصالح متباعدة.

ـ لهذا جمعتكم، إذا كانت المسألة خطيرة بالفعل عليّ أن أستشير رؤسائي ولكن قبل أن أزعج الفاتيكان تساءلت رغم مصالحنا المتباعدة، كما قلت سيدي القس، إن كان لنا أن نتخذ موقفا موحّداً على أرض الواقع.

ـ في هذه الحالة علينا أن نعرف مصدر هذه المخطوطة، قال كرباك، يجب أن تكون كتبت ونسخت من قبل شخص ما، ويجب أن يعرف الكتبيون من وزّعه.

ـ هنا تكمن الغرابة، قال الأسقف، الكتبيون الذين استجوبتهم بطريقة سرية صرّحوا أن المخطوطة ظهرت بطريقة غريبة في واجهات محلاتهم وعلى مكاتبهم.

ـ والإيداع القانوني؟ سأل صوفرون، كلّ المطابع ملزمة بوضع نسختين بمكتبة البلدية وكل دور النشر عليها أن تضع أربع نسخ في المكتبة الوطنية. هناك مطبوعات يجب ملؤها.

ـ القيّم على المكتبة البلدية صديقي وقد صرّح لي أنه لا يوجد إيداع قانوني، لقد وجد نسختين على مكتبه ذات صباح.

ـ هذا يفترض قدرات هائلة، قال ملاخ، ربما يكون تنظيما سريا، أو جماعة متطرّفة، أساسا يبدو تشكيلاً إرهابياً.

كل العيون اتجهت صوب الإمام بن فلفول الذي ابتسم قائلاً:

- أستطيع أن أؤكد لكم سادتي أنها ليست عملية إرهابية فلسطينية أو إيرانية. نستطيع أن نلومهم على أشياء عديدة لكنهم مسلمون صالحون. وتلك المخطوطة تشير إلى إله صغير بينما أول صفة إلهية بالنسبة للمسلم هي الكبر «الله أكبر».

- بحق كل القديسين أريد أن أعرف من يختفي وراء اسم عقراب هذا؟

- إنّه أنا!!!

تجسّد عقراب وسط الغرفة بصحبة اندرول مرتدياً بنطلونه الجينز وقميصه الأصفر وحذاءه الرياضي. تقدم خطوة وقال:

- أيها السّادة مساء الخير، سمعت أنّكم تهتمّون بي ففكرت أنه من الأحسن أن نتعرّف على بعضنا، أنا الإله عقراب.

مسك الأسقف بيدول صليبه الذي يتدلى عل صدره وصاح

«اغرب أيها الشيطان». الأب كتبوك والقس كرباك والحاخام ملاخ والإمام بن فلفول يتلو كل واحد منهم في لغته المقدسة تعاويذ وصلوات لطرد الشياطين، ويقوم بحركات معقّدة.

بأكثر هدوء يمسح الأستاذ صوفرون نظاراته ليرى أحسن. ضحك عقراب وقال:

ـ لا تتعبوا أنفسكم، لست شيطانا، وتوقف على التلويح بهذا الصليب سيدي الأسقف إنك تذكرني بالطريقة التي تصرّفتم بها أيها البشر مع المسيح حينما جاء للأرض. أعرفه جيّداً وأكنّ له الكثير ممن الاحترام.

ـ لست شيطانا؟ سأل الأسقف.

ـ لا. أنا إله، أرى أنّك لا تعرف أبالسة الجحيم. لتطردهم عندي طريقة أنجع. قام عقراب بحركة سحرية فظهرت من العدم اسطوانة حمراء بيده، وواصل، خذ أهديك إياها، إنها قنبلة مضادة للشياطين، يكفي أن تضغط على الزرّ الذي في أعلاها حتى تتسرّب مادة تهرّب أعتى الشياطين. إنه منتوج حرفيّ لكنه ناجع.

ـ ماذا تريد منا؟ سأل الأسقف.

ـ لا شيء إلا أن أعرّفكم بنفسي وأعرفكم، لا أطلب منكم أن تؤمنوا بي، أنتم موظفو زملائي وليس من مبادئي تحويل وجهة موظفي الشركات المنافسة.

ـ ألا تدّعي أنك المسيح المنتظر؟ سأل ملاخ.

ـ لا سيدي الحاخام، لا أقوم بالعمل لصالح أي كان، أنا أعمل لحسابي الخاص.

ـ ستفهم سيدي... لا يجدر بي أن أدعوك مولاي على كل حال. قال الأسقف بصوت أكثر صرامة وقد استعاد أنفاسه.

ـ لا. لست مولى أحد، نادني عقراب، ببساطة عقراب.

ـ ستفهم، عقراب أنّ لا أحد منّا يمكنه التثبت من طبيعتك الإلهية أو صلاحية ديانتك.

ـ آه! اسمح لي سيدي، صاح صوفرون، أنا شخص لا أدريّ، واهتم بالديانات فقط من وجهة نظر اجتماعية، ديانة عقراب تبدو لي صالحة مثل غيرها. أرغب في التعرّف على نظريتك اللاّهوتية سيد عقراب هل هي طبيعية أو ماسونية أم ألفية؟

ـ لم أطرح على نفسي هذا السؤال سيدي الأستاذ، في الواقع لا أعلم إن كانت لدي نظرية لاهوتية، أنا حرفيّ أحاول مساعدة المخلوقات، هناك كائنات أخرى غير البشر كما تعلم، للحصول على حياة أكثر كرامة ولتحمل هذه الحتمية المقرفة المسماة موتا.

ـ إذن أنت إله من فصيلة هانومان وغانيش؟

ـ الإله القرد والإله الفيل من الهند أعرفها جيّداً إنهما مليئان بالحكمة والمواهب لكنهما تخليا عن استقلالية شركاتهم وعملا مع آلهة البراهمة كمديري فروع. لكني أنا مستقل، وصدقني هذا ليس سهلا بالمرّة.

ـ هذا الفتى، أليس الصبي اندرول لوكوك؟ سأل الأب كتبوك الذي يتأمل منذ حين اندرول.

ـ بلى، أجاب عقراب، إنه أقدم المخلصين لي على الأرض.

ـ لا أتعجب من ذلك، قال الأب بخشونة، فهو لم يأت أبداً إلى دروس الوعظ الديني. هل تعرف سيكدال أيها الصغير؟ هي حدثتني عنك.

ـ إنها تدرس معي.

ـ وأنت أستاذ الموسيقى، قال الأب وهو يقرأ اسم أوكراب على القميص.

ـ فعلا أيها الأب، إنها المهنة التي اخترت ممارستها على الأرض.

ـ وتدرّس سيكدال الموسيقى.

ـ نعم أيها الأب المبجّل.

ـ موسيقى فقط أم وعظك الديني، نظر الأب إلى الأسقف نظرة ذات مغزى وواصل: سيدي لاحظت منذ مدّة لدى سيكدال سلوكاً غريباً، إنها تسألني أسئلة لا يمكن لطفلة في مثل سنّها أن تعرفها بمفردها. هذا الإله الدّعيّ يفسد دروس الوعظ التي أقدمها للأطفال.

ـ أحقا؟ سأل الأسقف بصرامة.

ـ لا أفسد شيئا سنيدي الأسقف. وليس لي دروس وعظ. أعلّم أتباعي ما أراه صالحا لهم.

ـ يعود للكنيسة أن تحدد ما هو صالح للمسيحيين. هؤلاء الأطفال ملكنا.

ـ لا أحد يملك أحداً. سيدي الأسقف.

امتدّ الصمت ثقيلاً حتى قطعه الأسقف بقوله:

ـ عقراب، أو سيد أوكراب، أنت تعلم أن لا أحد منا يملك القدرة للحكم على طبيعتك الإلهية بينما يمكننا أن نلاحظ أنّك تعتدي على ما نعتبره نحن إيماننا الحقيقي. باعتباري ونظرائي ممثلي آلهتنا على الأرض فمن واجبنا الاعتراض على هذه المؤسسة. هل فهمتني جيّدا؟

ـ سيدي الأسقف، أتقبّل بصدر رحب المنافسة بشرط أن تكون شريفة وتتعلّق فقط بنوعية الإنتاج والثمن الواجب دفعه. أضيف أنّه لا نية لديّ لتحويل وجهة زبائنكم. هناك مكان لكل الناس في السوق.

ثمّ قام بحركة اختفى على إثرها مع اندرول.

بدأت المشاكل بعد أيام قلائل. ألغى والد سيكدال الذي أخبره الأب كتبوك دروس الموسيقى. هذا لم يمنع سيكدال من حضور الاجتماعات الليلية لأن عقراب لا يجد أي صعوبة في إحضارها بمعجزة صغيرة من غرفتها. لكنها تتحمل بصعوبة مجهودات الأب لانتزاعها من مخالب من يعتبره زنديقا خطيراً، فهو ينفرد بها أحياناً ساعة كاملة بعد دروس الوعظ ليوبخها وليلقنها ما يعتقد جازما أنه الحقيقة المطلقة.

كانت سيكدال مغتاظة من هذا التحرّش وغالبا ما تصل باكية وهي تغمغم:

- لقد قال لي أني سأذهب إلى جهنم لو استمعت إليك.

- اطمئني، ليس هناك جهنم، ما يمكنه أن يحدث أن أبالسة الجحيم ستفترس هذه التركيبة من الجزيئات والطاقة التي تجعلك أنت والتي تسمينها روحك، ولكنها مجرد حادثة، إذا فررت منهم ستجدين جنّة. إنها مسألة غير مسلّية لأن الموت دائماً غير مضحك. ولكن الفكرة تجعلها محتملة.

بعد ذلك أخرج والد سيكدال ابنته من المدرسة الثانوية

خوفاً من تأثير اندرول وسجّلها بمدرسة داخلية تشرف عليها الراهبات على مسافة ٢٠٠كلم من كيرباك. في المدرسة لا يوجد فريق رياضي لكن سيكدال سجّلت في دروس رقص وأعجبت سريعا كل من رآها. طبعاً المسافة لا تمثل مشكلا لعقراب الذي يحضرها بسهولة سحرية لاجتماعات ليلة الأربعاء. ولكن الأم الرئيسة اكتشفت أثناء التفقّد اللّيليّ سريرها خاليا. ولم توقظها حينما وجدتها في سريرها خلال الدورة اللاحقة، ولكنها بدأت تضيّق عليها الرقابة وعندما لاحظت غيابات الأربعاء بحثت بغير جدوى عن الطريقة التي يمكن للفتاة أن تختفي بها.

استدعتها إلى مكتبها واستجوبتها بلطف ثم بشدّة. بكت سيكدال وهي تجيب:

ـ إنه اندرول يأتي ليأخذني لعقراب.

علمت الرئيسة بقصّة عقراب واندرول من رسالة كتبها الأب كتبوك، ولكنها كانت امرأة لا تهزها مثل تلك الخزعبلات.

ـ كيف يأتي لأخذك يا صغيرتي؟ بالطائرة أم بالسيارة؟

ـ لا أعلم أمّاه، في لحظة نكون هنا واللحظة الموالية نصبح هناك.

ـ أين هناك؟

ـ في عمارة اندرول، حيث يسكن أوكراب.

باعتبارها متديّنة وشديدة التقوى لا تؤمن الرئيسة بالسّحر، وعندما تريد معجزة تعرف أين تجدها.

وحتى حين رأت اندرول يظهر ويأخذ سيكدال ويختفي معها لم تقتنع أنها ليست عملية شعوذة لا غير. اتّصلت هاتفيّا بأبوي سيكدال قائلة لهما إذا لم تكفّ ابنتهما عن التهريج والخداع فإنها ستطرد من المدرسة.

ـ ولكن أين تذهب؟ سأل والد سيكدال.

ـ عند أستاذ الموسيقى السيد أوكراب. لكن الفتى اندرول لوكروك هو الذي يأتي لأخذها. لقد رأيته، لو كنت مكانك لأخذت الموضوع بجدّ.

والد سيكدال مدير معمل المصبرات شخصية مهمة جدّاً في المدينة، اتجه مباشرة إلى رئيس منطقة كيرباك المفوّض بوديف. لمعت عينا المفوّض الذي كان ينتمي لفرقة مقاومة الشغب ويحسّ بالكبت لأنّه تكرّش من فرط حبسه في مكتبه, وصاح:

ـ تحويل وجهة قاصر إنّه عمل عصابات، ألم تتلقّوا طلب فدية؟

ـ لا. على الأقل ليس إلى حد الآن سيدي المفوّض.

ـ إذا وصلتك أخبرني بسرعة.

ـ هل تعتقد أنّ سيكدال في خطر.

المفوّض بيدوف الذي يبدو كخنزير وردي قوّس حاجبه بشدّة وصرّح:

- سنتدخّل قبل ذلك سنهتمّ بالطّفل الجانح الذي تدعوه اندرول. أمّا بالنّسبة لأوكراب أنا أراقبه منذ مدّة، لقد اتصل بي الأسقف بيدول بشأنه، ولكن أنت تعلم أنّ قصص الرّهبان يجب أن نأخذها بحذر. وليكن بعلمك أنّ من خلال بحثنا توصّلنا أنّ أوكراب هذا مرتبط جدّا بكروبنيك الموسيقي المتشرّد الذي تسمح له بالبقاء أمام مصنعك وبأحد عمّالك المسمّى كراك بوم.

- كراك؟ إنه النائب النقابي في المصنع، وهو مرشّح للانتخابات البلدية والتّشريعيّة.

- في هذه الحالة يجب أن تسرع قبل أن يُنتخب، النّوّاب يتمتّعون بالحصانة البرلمانية.

في نفس الليلة قام حرّاس المصنع بطرد كروبنيك وهدموا كوخه الصّغير بجرّافة. بالطّبع علم عقراب بالأمر ووجد كروبنيك نفسه في شقّة بجانب شقة الإله... كان مغتاظا.

- لست متعوّداً على الحياة بين الجدران، يلزمني فضاء واسع، أنقذوني...

- ما رأيك في سطح العمارة؟ سأله عقراب.

- هذا ما يلزمني بالضّبط.

قام عقراب بحركة سحريّة فوجد كروبنيك نفسه تحت النّجوم وكوخه بين مدخنة وخزان مياه وفتحة تهوئة.

دون أن يضيّع وقتاً قرر المفوّض بوديف القيام بعمليّة ضخمة ضدّ اندرول، حاصر العمارة بفرقة كاملة من الشرطة، ثم صعد مصحوبا بأربعة مفتشين مسلحين إلى شقة لوكروك الذين جلسوا للتفرّج على «حروف وأرقام». وصل أمام الباب. أشار بحركة للمفتشين أن يصعدوا للطّابق الأعلى ليحرسوا عقراب، ثم بضربة رجل قويّة حطّم قفل الباب وصاح: «ارفعوا أيديكم». فلورنس وجون ماري واندرول نظروا إليه في ذهول، فعاود الصياح:

«الجميع وجوهكم للحائط». بآلية نهض الجميع في طاعة لحظة صفّق الجمهور بقوّة في التلفاز. أطفأ المفوض التلفزة بحركة عنيفة وهتف بعنف: «تعال أيها الفتى». استدار اندرول ويداه مرفوعتان كما شاهد ذلك في الأفلام الأمريكية وتقدّم نحوه.

ـ هل تعرف سيكدال؟

ـ نعم سيدي.

ـ أي لعبة قذرة تلعبها معها؟

ـ أذهب لإحضارها كل أربعاء ثم أعيدها.

ـ لماذا؟

ـ إنه عقراب الذي يرسلني يا سيدي.

ـ أوكراب؟ الشخص الذي يسكن الطابق الأعلى؟ إنه الرأس المدبّر وأنت شريكه.

ـ أنا تلميذه المخلص يا سيدي.

ـ تلميذه! ماذا يعلّمك؟ السطو والسرقة والاختطاف؟

ـ إنّه يعلّمني الموسيقى، وديانته أيضا، إنّه إلهي سيدي.

يرتعش صدغ الرأس الكبيرة من الغضب، ويدفع بطرف مسدسه بطن اندرول ويصيح:

ـ اسمع أيها الجدي، لا أحب أن يتلاعب بي أحد، اللصوص أعرفهم جيّداً ولكني لم أقابل إلهاً قطّ.

ـ ربما حان الوقت لترى واحدا. قال عقراب بهدوء وقد تجسّد بجانب اندرول.

ـ ها! من أين خرجت، صاح بوديف، ارفع يديك!

لم يحرّك عقراب ساكنا، فأخرج بوديف صفّارة من جيبه وصفّر بعنف.

ـ لو كنت تبحث عن مفتشيك فقد أرسلتهم في جولة إلى كوكب كزيروس سيصلون هناك ظهر الغد.

ـ أرجع رجالي الآن أيها الحقير. صاح المفوض حين لم يجبه أحد.

ـ حتى لو كنت أريد ذلك فإنهم لن يكونوا هنا قبل يومين.

ـ قلت لك الآن. زعق بوديف، سأعدّ ١...

ـ قوانين الفيزياء لها حكمها أيها المفوض...

ـ ٢...

ـ تأكد أني آسف حقا...

ـ ٣ سأطلق...

ضغط بودبف على الزناد فخرجت زهرة حمراء من حافة مسدسه. نظر إليها دهشا وعيناه جاحظتان.

ـ ربما كنت تفضل جريسة او زهرة لؤلؤ، سيدي المفوض.

بغضب شديد استدار المفوض بوديف واتجه نحو الباب كصاروخ.

ـ انتظرني أيها المفوض، أظنّك جئت لإيقافي لا تذهب بدوني. قال عقراب وهو يتجه إلى الباب بعد أن غمز اندرول وابتسم له مشجعاً.

تابع والدا اندرول المشهد من فوق أكتافهما وهما متجهان نحو الحائط.

ـ حسنا، يمكنكما الرجوع لقد انتهى الأمر. قال اندرول.

ـ ما قصّة المجانين هذه؟ قال جون ماري وعيناه تكادان تخرجان من محجريهما.

ـ آه! لم أكن أعلم أنّ السيد أوكراب ساحر، أرأيت يا

عزيزي كيف أخرج الزهرة من مسدس الرجل السّمين أم تراه متواطئ معه؟

ـ متواطئاً! إنه المفوض بوديف شخصياً، أعرفه، إني أفرغ فضلاته كل صباح.

ـ إذن فقد أوقف السيد أوكراب المسكين، إنه رجل طيب لم يفعل شيئا.

ـ ماذا تعلمين أنت؟ اسألي ابنك يظهر أنه أعلم منا. هاي اندرول من هو إذن هذا الأوكراب؟

ـ كما سمعتما، عقراب إلهي وأنا تابعه.

ـ أن تسخر من السيد المفوض فهذا يسيء لموظف بلدي مثلي، ولكن أن تسخر من أبويك فهذا يتجاوز كل الحدود، وتستحق على ذلك ضربات موجعة.

ـ ولكن يا أبي...

ـ لا أبي ولا لكن، اغرب عن وجهي ولا تعد إلا ساعة العشاء. ستفوتنا الأخبار المحلية.

أشعل التلفاز أثناء ذهابه لغرفته حيث ينتظره عقراب.

ـ تركته يضعني في السجن ثمّ عدت. لقد جمعت الجميع في الأعلى، هل تأتي؟

كانت القاعة مليئة والأصوات أعلى من العادة.

ـ مدير المصنع طردني يا عقراب، صاح كراك، والرفاق

في النقابة يبدؤون إضراباً غداً وحزب العمال الديموقراطي ينظّم اجتماعا الأسبوع القادم.

ـ هذا جيّد، قال عقراب، لقد قلت سابقا لا تعطوا هدايا لأعدائكم.

ـ دعاني متفقد الأكاديمية، قال بيتسوك، وأعلمني أني بإلقاء المحاضرات العامة أخرج عن دوري كأستاذ وأخرق مبدأ الاختصاص.

ـ كنت أنتظر هذا. وأنت هل لديك مشاكل؟

ـ نقابة الأطباء أعلمتني أني أشفي عدداً من المرضى أكثر مما يجب، وأسيء للمهنة، بينما هددوا ميرا بالتتبع القضائي لأنها تمارس الطب بطريقة غير شرعية.

ـ زارتني الرقابة الضريبية، قالت فلورا، وطالبوني بفواتير التسوخ الذي أبيعه، وطالبوني بضريبة القيمة المضافة.

ـ طبعاً باعتبارك لم تدفعي ثمنه. اسمعوا كلكم، انتظرت هذه اللحظة، التنظيمات الدينية الكبرى استاءت من ديانتنا وهي ترد الفعل بقوّة. ستقعون كلكم في مشاكل، سأحاول مساعدتكم، لكن عليكم أن تعلموا أن الأسقف والأب والحاخام والإمام ليسوا إلا موظفين. إنهم سيحاولون القضاء على المنافسة بكل الطرق التي تتاح لهم. وليست هذه المعجزات الصغيرة ما سيغير طرقهم.

دعوا العاصفة تمرّ دون أن نمكنهم منا. لا نستطيع أن نفعل شيئا طالما أعرافهم الحقيقيين لم يظهروا.

ـ ومن هم أعرافهم سأل اندرول.

ـ كبار الآلهة الذين يشغّلونهم ويلهمونهم كيفية التصرّف. إنهم أشخاص مهمّون لا ينزلون إلى مستوى الأعمال القذرة، إنهم يتركونها لأتباعهم، فإذا ما كُشِف هؤلاء يمكن لأعرافهم أن يتنصّلوا من المسؤولية ويغيّروا الموظفين. تذكروا فضائح الحروب الدينية ومحارق سالم والمونتيجور. كل ذلك كان باسمهم ولكنهم يغسلون أيديهم، يكفي أن يقولوا إنها أخطاء بشرية لم يرغبوا في وقوعها. وإذا بضمائرهم نقية صافية. هم من يجب إقلاق راحته.

ـ ولكن كيف ذلك؟

ـ بإثارة الرأي العام، لا أحد يمكنه مقاومة الجموع المتحدة للناس، ولا يمكن حتى لإله مثلي أن يفعل شيئا إذا لم يتّحدوا.

ـ من السهل الحديث عن إثارة الرأي العام ولكن يجب استغلال وسائل الإعلام. الصحيفة التي أعمل بها مستقلّة، قال جون، ومديرها رجل شجاع لا يتردد في كشف الفضائح، ولكن هناك حدود لا يمكن تجاوزها،

لا يمكنه أن يضحي بأصحاب الشركات التي تدفع له من أجل الترويج.

ـ هل تهمّه الأخطاء القانونية؟ لهذا وافقت أن يقع إيقافي. سأعود للسجن وبعد يومين سيخرجني القاضي بريئا. على المفوض بوديف أن يقدم تبريرات حول إيقافي وتهجمهم بالسلاح عل منزل اندرول. أضف إلى ذلك الاجتماع الذي سيقوم به أصدقاء كراك. وها أن لديك ما توقظ به أقلام الصحفيين لأسبوع كامل. وكاختتام لكل هذا سنقوم بحفل تضامني كبير ليلة رأس السنة. سيعزف كروبنيك وترقص خلاله سيكدال وأنا سآخذ الكلمة، وسيكون الدخول مجانيا.

كما هو متوقّع رفض مدير المسرح البلدي كراء القاعة رغم عدم وجود نشاط ليلتها. وتعلل بالإصلاحات وبإجراءات أمنية. ولكن يبدو أنه تلقى أوامر مشدّدة.

تمكن كراك من الحصول على قاعة الحفلات الخاصة بالكنفدرالية المتحدة لنقابات العمال. سريعا ظهرت معلّقة بألوان قوس قزح تعلن عن سهرة «الأذن الكبرى» في كل جدران المدينة. أمر رئيس البلدية بحرقها في البداية ولكنها تظهر جديدة كل صباح.

كانت هناك صفحة ترويج كاملة في «مستقّلة كيرباك» ولم يفهم المدير كيف تلقى أربعين ألف كلوب على هذا الإعلان

دون أن يمضي عقدا. بنفس الطريقة وقع الإعلان عن الحفلة في كل إذاعات كيرباك وفي القنوات التلفزية الأربع التي تلتقطها المدينة، ولكن لا أحد يعلم في الإذاعات من الذي قام بالإعلان.

سريعا كثر الحديث عن أوكراب وأصدقائه ليس في كيرباك وحدها بل في العالم بأسره. يعود كريستوف وفالب بيتسوك والأستاذ بيك زامب محمّلين بالأخبار، لقد وقعت ترجمة «الأذن الكبرى» إلى أكثر من عشرين لغة.

- في جنوب المكسيك، يحكي كريستوف، قام القرويون بترميم كنيسة وأقاموا لك مذبحا لتقديم القرابين والصلوات على شرفك.

- رأيت نفس الشيء في الفلبين، قال بيك، حيث يشعل القرويون الشموع لنا لأن فالب ضاعف محصول القلقاس ثلاث مرات ولأني أنقذت القطيع من وباء كان يقضي على الآلاف منها.

- لا أحب هذا، قال عقراب، يجب إيقاف هذه الأعمال فورا، أستأذنكم للحظات.

اختفى عقراب تاركاً الإثني عشر يحضرون لحفلة رأس السنة. عندما عاد بعد ساعة بدا أكثر هدوءاً وقال:

- كان عليّ أن أتدخل فورا، عيّن هنود المكسيك لي راهبا، وبدأ الفلبينيون في بناء هيكل خاص بي. تعبت

لكي أفهمهم أن ديانتي لا تتطلّب هذه المظاهر. فعلا إن أمركم غريب، تتحدّثون على الحرية ولكن عندما تحصلون عليها لا تبطئوا في سجنها بخلق القوانين والترتيب.

- ربما لأنها تخيفنا، قال كريستوف، باعتباري حارس منارة يمكن أن أؤكد لك أن لا شيء أفظع للسفينة من الانحراف عن المسار في الليل الدامس، إننا في حاجة لضوء يلمع في الأفق ليهدينا السبيل.

- فعلا، أجاب عقراب، لكن تذكّر العصافير يجب ألاّ يغشي الضوء بصرك، وإلاّ فإنّك ستهشّم رأسك في المصباح.

لم يمثل ديكور قاعة النقابة مشكلا لعقراب القوي بقدراته المتعاظمة، زرع أغصان شجرة الميلاد حيث تلمع شعور ملائكة ونجوم ملوّنة. ثم قام بتكبير عقيق بحجم كرة قدم وعلّقها في فضاء القاعة محاطا بأربعة أقمار تدور حوله في خفّة وتشعّ كلها بنور خافت يلامس السّحر.

امتلأت القاعة قبل حوالي ساعة من العرض وبقي ضعف العدد خارج القاعة، وحينما أعلم جون وبيتسوك المسؤولان عن التنظيم عقراب بالأمر قام بحكة سحرية أدخلت ثلاثة آلاف شخص ووجدوا أنفسهم في كراسي مريحة دون أن يشعر أحد بشيء.

في التّاسعة تماماً بدأ كروبنيك في لمس الأرغن العملاق الذي ظهر سحريّا في أقصى خشبة المسرح. ثمّ ظهر عقراب تحت ضوء مركّز وقد أبدل بنطلونه الجينز وقميصه بالجبّة البيضاء التي ظهر بها أوّل ليلة لاندرول. ساد الصّمت في القاعة ثمّ بدأ الكلام بصوت قويّ وواضح دون الحاجة إلى مضخّم صوت.

ـ أنا الإله عقراب... ولكن هذه حفلة أصدقاء وليس صلاة جماعيّة على شرفي، هذه الحفلة ستتمتّع خلالها آذانكم وأعينكم، لا أطلب منكم أن تؤمنوا بي ولكن أن تتمتّعوا في حريّة بهذا العرض الذي سيحييه كل من سيكدال وكروبنيك... سينتهي الحفل باكراً لكي يلحق من شاء بصلاة منتصف الليل في الكنيسة. إنّ صلاة المهد من أجمل اللقطات الترويجية التي رأيت ولا أريد لأحد منكم أن يُحرم منها. ولا أريد أن أحرم الأطفال أيضاً من زيارة الإله الشمالي **بابا نوال** الذي لم يعد يؤمن به إلاّ الأطفال. وقد اكتفى بمهمّة توزيع اللّعب... أتمنّى لكم سهرة ممتعة.

بدأ كروبنيك بالعزف والارتجال بمهارة وتجلّي ممّا جعل كلّ مستمع يعتقد أنّه في نفس الوقت يسمع لحنا جديداً ويتعرّف على ألحان أبهرته في فترات متباعدة من حياته: الشباب يجدون الروك والأقلّ شباب يجدون الجاز وهواة

الموسيقى الرّاقيّة يستمعون إلى كرفين وباخ وبيتهوفن وموزارت وفي نفس الوقت إلى أصوات وإيقاعات غريبة تمثل أصداء الموسيقى الكونية.

ثمّ فجأة ظهرت سيكدال تحت شعاع شديد البياض رشيقة تشعّ نورا. وبدأت ترقص، بالكاد كانت قدماها تلامسان الأرض من شدّة الخفّة.

كلّ انعكاس للضّوء على ملابسها يعطيها لونا مغايراً فتبدو أحياناً بيضاء وأحياناً ذهبيّة وأحياناً أخرى قزحيّة. كلّ حركة من حركاتها وقفزاتها تثير في القلوب شعوراً مختلفاً. كانت ترقص محمولة بالموجات العملاقة الّتي يصورها الأرغن تحت أصابع كروبنيك الماهرة تارة برقّة متناهيّة وطوراً بعنف مهيّج.

عند انتهاء العرض بعزف رائع الانسجام، بهت اندرول الواقف في آخر القاعة ثمّ بدأ يصفّق بعنف ممّا أشعل فتيل التصفيق والهتاف لمدّة ربع ساعة. من جديد ظهر عقراب على المسرح، ورفع يده مهدّئا وقال بصوت عذب: «شكراً أيها الأصدقاء، اقترب منتصف الليل، وها نحن سنفترق، قبل أن أترككم أعطيكم بركتي أضيفوها إلى بركات الآلهة التي تؤمنون بها. إذا كنتم لا تؤمنون بأي إله اقبلوها علامة صداقة وحسن نية من الذين نظموا هذا الحفل». قام عقراب بحركة سحرية فظهر الاثنا عشر على خشبة المسرح حوله، قدّمهم تباعا فارتفع التصفيق من جديد.

فرغ المسرح وانطفأ عقيق واختفى تاركاً الأضواء الباهتة تضيء القاعة. خرج الجمهور إلى الشارع مسحوراً ومغتبطاً.

بعد العرض الرّائع قلّت المضايقات حول عقراب وأصدقائه، بثت إحدى القنوات التلفزية والقناة الرسمية لإذاعة كيرباك الحفل مباشرة والقنوات الأخرى بثّت لقطات مطوّلة في سهرة الغد. العديد من شركات مساحيق التنظيف والعجائن تتسابق على حجز مساحة إعلانية أثناء بثّ الحفلة، أخيراً حصل والد سيكدال على عقد احتكار وساهم هذا العقد كثيراً في رفع الاحترازات التي كانت لديه بشأن عقراب...

أعاد والدا سيكدال ابنتهما التي أصبحت مصدر فخر للمدينة بأسرها لدروسها، وسجّلاها في مدرسة الرّقص التابعة للمسرح البلدي بكيرباك حيث أصبحت في بضع أشهر الرّاقصة الأولى للباليه. كان الأطبّاء آخر من رفع الاحتراز.

لحسن الحظ حضر الأستاذ كروب رئيس أكاديمية الطّب الحفل ورأى الدّكتورة إيليا لابور على المسرح. لقد كانت إحدى طالباته وقد علم طبعاً بالاتهامات التي وجّهت لها. استدعاها لمكتبه. كان عجوزاً جميل الوجه يكسوه شحوب البسطاء ويتوّج رأسه شعر تامّ البياض. قال لها وهو يتفرّس وجهها:

ـ إذن هلاّ حدثتني عن هذه المداواة السحرية!

ـ أنت تعرفني سيدي، لست ممّن يؤمنون بالخرافات ولكن في هذه المرحلة العلمية أعتبرها معجزات، أنا مجبرة على الاعتراف مهما كلفني الأمر.

ـ هل قمت باختبارات إحصائية أو بمقارنات؟

ـ نعم سيدي ليس هناك أي شكّ إنه شفاء حقيقي.

ـ أليس لديك أي تفسير عقليّ؟

ـ أعتقد أني بدأت أكوّن فكرة عن آليات الشفاء سيدي، قالت إيليا بعد أن فكرت قليلاً، إن خلايا الحصانة في الجسد تتضاعف بالمئات وأحياناً بالآلاف كأن المريض يداوي نفسه بنفسه.

ـ وما هو برأيك العنصر المؤثر في هذه الظاهرة؟

ـ هذا ما أجهله سيدي. ليست لديّ الإمكانيات اللازمة لأقوم ببحث كهذا. ويبدو أن زملائي لا يرغبون كثيراً في مساعدتي، هذا أقل ما يمكن قوله.

ـ إنهم على خطأ، يجب ألاّ نترك شيئا دون تفسير. سأعيّن لجنة بحث لمواصلة أبحاثك وستكون مخابر الأكاديمية تحت تصرّفك، هل أن السيد أوكراب سيقبل التعاون معنا؟

ـ أعتقد ذلك سيدي.

ـ حسنا سأهتم بالأمر، بالنسبة لمساعدتك الشابة ميرا هل لديها باكالوريا؟

ـ نعم سيدي.

ـ في هذه الحالة سجليها في كلية الطب منذ السنة الجامعية القادمة، هذا لن يعلّمها الشيء الكثير ولكن على الأقل يمكنها القيام بالمعجزات بشهادة رسمية.

انتخب كراك بوم رئيس بلدية كيرباك بأغلبية ساحقة في مارس ونائبا في مجلس النواب في ماي. خشي بعض رفاقه استناده إلى إله لكنه طمأنهم بقوله: «عقراب عامل كالآخرين، يقوم بمهنته وهي ليست بالأمر السهل، مثلنا يصارع القوى الخفية التي تسلب حريات البشر».

اختفت كل الأحكام المسبقة بعد أن تسلّم عقراب بطاقة عضوية في نقابة أساتذة الموسيقى. سمع المفوض بوديف بهذا الانخراط عن طريق الاستخبارات العامة فازداد يقينا بأن عقراب ثوري خطير، ولكنه أصبح أكثر حذراً بعد فشل مهمّته في منزل لوكروك وانتخاب كراك بوم.

المفتشون الأربعة الذين أرسلهم عقراب إلى كوكب كزيروس عادوا سعداء من جولتهم وطلبوا نقلهم إلى ذلك العالم الغريب حيث السيقان تفكّر. احتفظوا من تلك الرحلة بدغدغة الأفكار في أحذيتهم الضخمة وهم يجدون ذلك رائعاً.

جون كريستوف، فالب والأستاذ بيك زامب يواصلون مهامهم عبر العالم يصاحبهم في أغلب الأوقات بيتسوك الذي ينشر الكلمات الطيّبة عندما تقوم حركة تعصّب أو تظهر بوادر انحرافات أو أباطيل. بالطبع يواصل كل منهم عمله اليومي، جون كريستوف يحرس منارته وفالب يزرع بستانه وبيك يدير مخبره وبيتسوك يدرّس التلاميذ. يرسلهم عقراب بفضل قدراته السحرية في وقت فراغهم إلى البلدان الأكثر بعدا، ولا يحسّون بأيّ تعب بفضل التسوخ الذي يشربون منه يوميا.

انتشر الشراب المعجز ولم تعد حانة فلورا هي المكان الوحيد الذي يباع فيه. أعطى عقراب تركيبة صنعه لوالد سيكدال ويوفّر له المواد التي لا توجد إلا في كواكب بعيدة. اختصّ جزء من مصنع المصبرات للتقطير والتعليب. ويوزّع المنتوج في خزانات إلى كامل أنحاء العالم وهي عملية تدرّ أموالا طائلة. وأب سيكدال وشركاؤه مستعدون من أجل المال أن يؤمنوا بأي إله. استاءوا بعض الشيء حين صادق البرلمان على مشروع قدّمه كراك بوم ينصّ على أن شركات صناعة التسوخ تديرها تعاونيات عمالية تذهب أرباحها لبناء دور حضانة ومستشفيات وملاعب ومدارس ومكتبات ودور شباب ولكنهم ارتاحوا قليلاً حينما ترك لهم القانون بعض الأرباح.

عرفت كيرباك في السنوات اللاحقة رفاها منقطع النظير.

اختفت البطالة تقريبا، والميناء مليء دوماً بالمراكب التي تشحن التسوخ والفواكه والخضروات المعجزة التي ينتجها فالب. أصبحت جامعتها أكبر مركز للبحوث البيئية والحيوانية في العالم وانتخب الأستاذ بيك زامب رئيسا لها.

وبدفع من الدكتورة إيليا لابور تتقدّم الأبحاث حول المداواة السحرية ببطء ولكن بثبات. تعجّب عقراب من مهارة الباحثين وصبرهم وقال لهم يوماً: «ستحصلون على معلومات أكثر مني حول ما أقوم به فطريا. ربما لن يصل البشر إلى القيام بأعمال الآلهة ولكن يمكنهم أن يعلموا أكثر منهم حول مخلوقاتهم نفسها». شيئا فشيئا انتشر رخاء كيرباك في باقي أنحاء الكوكب. لأول مرّة كان هناك مجاعات أقل في العالم وتراجعت الرّمال في البلدان المتاخمة للصحراء. وقلّت خاصة الحروب الأهلية. ظلّت خاصة الكوارث الطبيعية، البراكين والزلازل والمدّ الفيضانات، ولكن الإسعافات تصل أسرع من ذي قبل ممّا يقلّل عدد الضحايا. والمواطنون الذين لم يلحقهم الأذى يتعاطفون ويتضامنون أكثر مع المتضررين.

ظلّت الانقلابات العسكرية والديكتاتوريات وحرب العصابات ولكنها تدوم أقلّ من ذي قبل وتخلف أقل موتى ومعذبين.

رغم كل ذلك لم يكن عقراب راضيا.

ـ يمكننا أن ننجح أكثر لولا القوى التي تعرقلنا وتعطّلنا.

ـ من يعرقلنا؟ سأل اندرول.

ـ المنافسون الكبار. هل تظن أنهم ينظرون بسرور إلى هذا الإله الصغير وهو يعطي بعض السعادة لعالم تركوه للنار والدم طيلة آلاف السنين.

ـ عدد كبير من الناس يؤمنون بك في كل أنحاء العالم.

ـ نعم ولكنهم لا شيء مقابل المليارات من الأرواح التي يملكونها. أنا لم أشترط قط ملكية الأرواح أنا مع الحرية. والآلهة الكبار لا يعطون الحرية إلا بعد مماطلة رهيبة. لديهم جيش من الممثلين مثل السيد بيدول، يراقبون الناس كي لا يستعملوا حرياتهم إلا في حدود الطاعة العمياء. الآن هم يتركونني أتصرّف ولكن حين أزعجهم سترى كيف سيصبحون أشرارا.

ـ سندافع عنك يا عقراب.

ـ عددكم ليس كافيا، ولو كنتم كثراً لما استطعت ضمان حرياتكم. السلطة على عدد كبير من الناس تولّد الاضطهاد.

يعلم اندرول أن عقراب على حق... رغم مجهود عقراب وأصدقائه ظلت الدولتان العظيمتان توجهان آلاف الصواريخ النووية إلى بعضهما. كان انتشاراً رهيباً لأدوات الدمار بحيث يعجز أي إله مهما كانت شعبيته وقوته عن تحطيمها.

كان عقراب يكتفي بنزع قنبلة هنا وهناك، الحكومات لا تعلم أنها يوم تقرّر شنّ حرب وتضغط على الزر النووي الأحمر فإن بعض قنابلها لن تعمل ولكن سيبقى لديها ما يكفي لتدمير العالم. كان اندرول هو المكلف بإحصاء الأرواح البشرية التي يتمّ إنقاذها بفضل تدخلات عقراب.

ـ اليوم وصلنا إلى ناقص ١٢ مليون قتيل.

ـ إنها لا شيء، قال الإله متنهدا، بقي ما يكفي لقتل ٢٠مليار.

ـ ولكن هذا يمثل أربعة أضعاف سكان الأرض.

ـ بالضبط لقد سبقونا بكثير وسيقاننا أقصر من أن تلحق بهم. الحل الأمثل هو أن نسقي مسؤولي الدولتين شراب التسوخ، ولكن حواجز الأمن الضخمة التي تحميهم تمنع المشروب السحري من الوصول إليهم. مازالوا متشبثين من جهة بشرب الكوكاكولا والجهة الأخرى بشرب الفودكا.

بعد سبع سنين مازال عقراب على الأرض مدفوعا بالصّراع اليومي الذي يعيشه لتحسين الأوضاع. لم يتجاوز المؤمنون به المليونين، لكنه يبدو له رقماً كبيراً.

بهذا العدد يصعب علينا أحياناً ملاحقة موجات التعصّب التي لا تكف عن اختلاق البدع واللاهوتيين الذين يبحثون دوماً عن تفاسير «الأذن الكبرى» بعيداً عن مقاصده الأصلية.

كان اندرول في سنته الأخيرة في المعهد ويعدّ نفسه ليصبح مهندسا بيئيا، إنها أقرب مهنة لحلمه القديم أن يصبح عامل نظافة. لم يعد أبوه يأخذه معه على الشاحنة الحمراء فقد أصبح رئيس الحظيرة البلدية لشاحنات النظافة وجدّه كريستوف بدأ يفكر بالتقاعد.

من وقت لآخر يرى سيكدال، الراقصة الأولى في الباليه الوطني، والنجمة المعروفة في العالم بأسره.

الاثنا عشر يتقابلون دوماً في شقة عقراب، أصبح جون سيراك مدير «مستقلّة كيرباك» وكراك بوم أصبح وزير الشؤون الاجتماعية وهو. يساعد في هذا الموقع إيليا لابور وميرا التي أصبحت دكتورة، لمواصلة بحوثهما لتقوية جهاز المناعة التي

أثارتها مداواة عقراب. لم يقم أطباء كيرباك بمعجزات لحد الآن لكن الحالات الميؤوس منها تقل شيئا فشيئا.

يواصل بيتسوك إعطاء دروسه في المدرسة الإعدادية إلى جانب المحاضرات التي يلقيها في كامل أرجاء العالم يصاحبه اندرول الذي وهبه عقراب ملكة اللغات، دون اللغة الإنكليزية، لكي لا يستغلها في دروسه لكنه نجح في امتحان الإنكليزية بمعدل١٣/٢٠.

في أوقات فراغهما القليلة يذهبان لإعانة فالب في العناية ببستانه الهائل حيث ركّز بيك بيوتا مكيّفة ومداجن لإجراء التجارب والاختبارات. يأتي الطلبة من جميع أنحاء العالم لدراسة سلوك النباتات والطيور.

أما فلورا فقد باعت حانتها وهي تدير قاعة العروض الضخمة ذات الخمسة آلاف كرسي حيث يعرض كروبنيك موسيقاه. يأتي الجمهور من كل أقطار العالم وتحجز جميع الأماكن قبل عدّة شهور.

رغم كل ذلك لم يكن عقراب راضيا، يحس حوله نوعا من التهديد الخفي الذي يتجسّد في عمليات عنيفة أحياناً حين يحاول أن يتجاوز بمؤسساته بعض الحدود.

مرّة في دولة من دول الشرق الأوسط يحكمها ديكتاتور إسلامي وقع إيقاف بعض أتباعه وسجنهم. مرّة أخرى منعت الرقابة في بلد اشتراكي بيع «الأذن الكبرى» وصادرت كل

النسخ الموجودة في المكتبات. في أمريكا نفسها تعرّض ثلاثة زنوج عقرابيين إلى الضرب في الشارع من قبل مجموعة سرّية تدّعي حماية الحضارة المسيحية.

كل مرّة يحاول عقراب استعمال قدراته السحرية يحسّ أنها تصطدم بقوى سحرية أقوى من تلك التي يملكها.

في الوقت الحاضر لا يهاجمونه شخصيا رغم أنّ المفوض بوديف يراقبه والأسقف بيدول يتجسّس عليه، غير أن الحوادث ضد أتباعه تضاعفت في كل مكان دون أن يتمكن من تحديد مصدرها، يشكّ أنها بأيدي المنافسين ولكن المسؤولين الحقيقيين لم يكشفوا عن أنفسهم بعد.

الأستاذ صوفرون الذي يواصل اتصاله بعقراب بهدف المعرفة العلمية، وليس لأنه آمن به، لم يبد استغرابه من تلك الحوادث قائلاً: «تاريخ الأديان يكشف أن في البداية تكون مقاومتهم غالبا خفية. وعندما تندلع حروب دينية تكون المنافسة سببها أو المطامع السياسية التي تستعمل الإيمان كذريعة. الأديان لها طريقة أكثر لطفا في المواجهة. أغلبهم يدعي التسامح في البداية وما إن تظهر قوّتهم ويرسون قواعدهم حتى يبدؤون في القضاء على منافسيهم أو احتوائهم. يتركون في البداية مجالا للمنافسة مع احتمال التضييق عليهم أو تثبيط عزائمهم بحركات متفرّقة. فقط حينما يتأكدون من سيطرتهم على السوق يلجؤون إلى العنف أو

العصبية للقضاء دون رحمة على من يزاحمهم. إنّه نفس النظام الذي كان يحكم حرب العصابات في شيكاغو.

في خريف تلك السنة عادت سيكدال إلى كيرباك أثناء المعرض السنوي للترفيه. اقترح عليها اندرول الذي ينتظرها على أحرّ من أشواك الشوق دون أن يبوح بذلك لأحد، الذهاب إلى المعرض كما كانا يقومان بذلك في طفولتهما. أصبح اندرول يَرهَبها لأنها صارت نجمة عالمية وذات جمال خارق، ولكنه واع أيضاً أنه لا يقلّ عنها جاذبية ووسامة فقد أكسبه الرقبي جسما متناسقا وبنية قوية مع ندبة في الحاجب الأيسر تعطي نظرته حدّة رجولية.

رغم ذلك يفقد في مواجهتها كل أسلحته. أحسّ بارتياح كبير حين وافقت: «عليّ أن أرتدي شعراً أشقر مستعاراً ونظارات سود كي أهرب من الصحفيين وجامعي التواقيع».

معاً وجدا ذكريات طفولتهما وصعدا المراجيح وأكلا حلوى «لحية الجدّ» وقاما بجولة داخل حلقة السّحر وألعاب الخفّة. دخلا خيمة عرّافة قرأت لهما البخت في الأوراق، عندما قالت إنهما سيتزوجان وأن سيكدال ستنجب عديد الأطفال ضحكت سيكدال وتورّد وجهها خجلا.

ـ ما الذي يضحكك؟ قال اندرول.

ـ أن عجوزاً طيّبة قالت ذلك ولست أنت، قالت وهي تقبّل أرنبة أنفه.

كان يتمشيان يداً في يد حينما مرّا أمام خيمة متواضعة كتب عليها: **الأستاذ هارلوس: ساحر.**

معجزات عقراب جعلتهما يقرفان من حيل المشعوذين.

خرج رجل قصير نحيل في بذلة وقبّعة عالية وناداهما:

ـ أيها العاشقان، ادخلا للحظة سيكون العرض مجانيا لكما، تعاليا لن تندما أبداً.

تبعاه آليا، كانت الخيمة فارغة، أجلسهما على مقعدين مهترئين من المقاعد التي يجلس عليها الزوار، ثم صعد على المسرح الصغير وانحنى حتى كاد يلامس الأرض.

ـ آنستي سيدي، على شرفكما سيقدم الأستاذ هارلوس بعض ألاعيبه.

تابعا المشهد بكآبة في البداية ثم سريعا جذبهما العرض. يبدو أن هارلوس ساحر من الدرجة الأولى. أظهر في البداية حصاناً جامحاً يصهل بقوّة ثم بحركة حوله إلى بجعة تسبح في بحيرة هادئة. طارت البجعة في السماء التي ظهرت فيها فجأة نجوم ومذنبات ترقص تحوّلت في لحظة إلى أسماك ملونة تسبح في حوض بلوري عملاق. ثم ظهر حوت عظيم من المستحيل أن يحتويه فضاء المسرح الصغير ثم فتح فاه وابتلع السمكات ثم عاد حصانا جامحاً أخفاه هارلوس بحركة من عصاه.

صفّقا اندرول وسيكدال بإعجاب وانحنى هارلوس بوقار وقال:

- ليس إلا عرضا متواضعا، من المعجزات التي يمكنني القيام بها. والآن إليكم هذه المفاجأة.

قام بحركات معقدة فظهر عقراب فجأة على المسرح وعليه علامات الذهول.

- اعذرني زميلي العزيز، قال الساحر، إذا أتيت بك دون سابق إعلام، أخذتك بغتة لأني لا أشك أن سحرك أقوى بكثير مما أستطيع. أقدّم نفسي، أنا الإله هارلوس.

- هارلوس! أعتقد أني سمعت بك من قبل.

- لا تبعد جنتي عن جنتك إلا بضعة آلاف من السنوات الضوئية

- ولكن ما الذي جاء بك إلى الأرض وجعلك في هذا الإطار وهذا الزيّ الغريب... المضحك.

- نفس الأسباب التي جاءت بك، يا زميلي العزيز، بدأ زبائني يختفون فجئت إلى هذا الكوكب للقاء آخر اثنين من أتباعي ولكني كنت بعكسك سيئ الحظ، لقد كانا عجوزين غجريين ماتا قبل وصولي بقليل. أنت على الأقل معك شخص شاب، مشيراً إلى اندرول، يمكنك الاعتماد عليه، لقد تابعت صعودك في الصحافة والتلفاز مؤسستك ناجحة.

ـ نسبياً، قال عقراب.

ـ ولكنها كافية لتقلق البعض، أليس كذلك. أنا لم أستطع حتى الانطلاق، لكني لا أرى نفسي مهزوما أخذت أدوات العجوزين المأسوف عليهما واستغللت القدرات السحرية الناجمة عن ستة مؤمنين في الكوكب الرابع في مجموعة ريجل لأستقر كساحر. عشرون عاماً وأنا أجوب العالم دون أن أكسب مؤمنا واحدا.

ـ ربما هناك خطأ ما في طريقتك أو نظريتك.

ـ لا أعتقد ذلك، بالنسبة إلى الطريقة أعرف كل الألاعيب، أما النظرية فقد قرأت «الأذن الكبرى» وأنا متفق معك في كل النقاط تقريبا.

ـ إذن كان عليك أن تنجح ولو قليلاً.

ـ أنت تعلم، قال وهو يبتسم بمرارة، ماذا يعني الوقوف على حافة الإفلاس، استطعت أنت منذ البداية أن تركّز مؤسسة ناجحة وتكسب حرفاء قليلين ولكنهم أقوياء. لكن الآخرين لن يتخلوا عن تحطيمك وعليهم أن يدفعوا الثمن والجهد المناسبين. أمّا أنا فبدون أي دفاع وهم يستعملون كل ضراوتهم مع أمثالي. لقد قاموا بمساومتي إمّا أن أعمل لحسابهم وإلا أرسلوني إلى متحف. متحف لن يكون لي فيه العديد من الزوّار لأني أعتقد أن في الكون كله لا يوجد لدي سوى تمثالين فقط.

ـ أنا لا أملك أي تمثال، ولكن من تقصد حين تقول هم؟

ـ الشركات العملاقة، قال هارلوس وهو ينظر حوله، يهوذا وشركاؤه والله L.T.D والآخرين أنا في قوائمهم السود. إنهم يراقبونني خوفاً من أن أجد مؤمنا واحدا. لهذا تعللت بزيارة العاشقين لآتي بك سرّا. ورغم ذلك لست متأكداً من عدم وجود جنّيّ أو ملاك يراقبنا من ثقب في الخيمة.

ـ لا يمكنهم الاختفاء في المعرض.

ـ هل تظن ذلك؟ إنهم متنكّرون.

بحركة سحب عقراب كأس تسوخ ومدّه لزميله قائلاً:

ـ اهدأ قليلاً أيها الصديق قد لا يُذهب خوفك الإلهي ولكنه يكسب السلام للغلاف الآدمي الذي ترتديه.

أفرغ هارلوس الكأس دفعة واحدة وعبّر بطرطقة لسانه عن إعجابه وأضاف:

ـ رائع! عندي تسوخ من نفس النوع للمحظوظين من أتباعي ولكن شرابك ذو عبير عطر. وحين هدأ قليلاً بحث عن اندرول وسيكدال اللذين يتابعان المشهد بذهول وواصل، آه! أنت محظوظ حقّا بمثل هذين المؤمنين. إنهما يضمنان المستقبل هل تعلم أنهما عاشقان وأنهما ينويان الزواج.

ـ كنت أعلم، ولكن انتظرت أن يتفطّنا لذلك.

ـ العجوز ليليت أخبرتهما بذلك.

ـ ليليت هي هنا أيضا؟

ـ نعم إنها عرّافة في الخيمة التي بجانبي. لقد تخلت تماماً عن أحلامها، رغم أنها كانت آلهة حتى قبل أن يبدأ يهوذا طريقه. لقد عشقته. إن إبداعه الشهير قد صنعاه معا. الأحبار لم يفسّروا قط لماذا ورد اسم الرب في التوراة «إيلويم» جمعا، رغم أنها مسألة سهلة جداً، لقد اتحدا للقيام بالعمل، ولكن عندما انتهيا تخلّى عنها، نهبها ثم أراد تزويجها من آدم ولكنها رفضت فكان عليه أن يتصرّف ويخلق حواء بما لديه من الإمكانيات.

ـ هل هناك العديد من الآلهة في مثل حالتك على الأرض؟

ـ على حدّ علمي قرابة المائة.

ـ يمكننا أن نتحد ونكوّن نقابة للدفاع عن أنفسنا. سأطلب النصيحة من كراك إنه قوي في هذا المجال.

ـ وما نفع هذه النقابة؟

ـ حتى نظهر مطالبنا. إذا اتحدنا فإننا سنملك من قوة الصوت ما يسمع الآلهة الاحتكاريين.

ـ يجب أن نعرف.أولا أين نجدهم. هل تعرف عنوان يهوذا وشركاءه أو الله L.T.D.

ـ هناك مكة والفاتيكان.

ـ إنهما المصالح الإدارية. أرباب العمل بعيدون جداً، إنهم مختفون.

ـ أتوقّع أن يكون لديهم صندوق بريد. اسمع حاول أن تتصل بأكبر عدد ممكن من صغار الآلهة. سنجتمع غداً عند الساعة السّادسة في قاعة اجتماعات النقابات المتحدة للعمال.

سافرت سيكدال صباح الغد صحبة كروبنيك لإقامة عرض في مسرح بولتشوي بموسكو. أوصلها اندرول إلى المطار وتبادلا قبلات طويلة.

ـ سألحّن لكما زفّة عرس خاصة. قال كروبنيك.

مساء جاء عقراب إلى المعهد ليصطحب اندرول.

ـ ستذهب معي إلى الاجتماع من الأحسن أن يسمع إنسان ما سيدور بين الآلهة.

وقد دار بينها الكثير. كانت بداية الاجتماع ضوضاء حقيقية ثلث الآلهة يعملون في مهن شبه دينية مثل شيوخ طرق صوفيّة أو رؤساء طوائف دينية أو حتى فلاسفة جدد. بعضهم ذهب للبحث عن مؤمنين في قبائل بعيدة منعزلة كالأمازون وأستراليا والبعض الآخر كوّنوا كنائس شاذة وناجحة في أمريكا. لكن أغلبهم يتخبّطون في الفقر يتسوّلون صلاة أو دعوة احتقرها الآخرون.

اثنان فقط نجحا بعض الشيء، أحدهما أصبح أمينا عاماً للحزب الحاكم في إحدى الديموقراطيات الشعبية. والآخر يدير شركة احتكارية كبرى توزع في العالم أجمع تعاويذ وتمائم وأحجبة لجلب الحظ تحتوي على ذرّة من قدراته السحرية.

لا أحد منهم كان موافقا على خطة عمل. بعضهم يطالب بحركة فورية عنيفة وإرهابية، الآخرون يفضلون الدخول في مفاوضات والبعض الآخر مع تكتيك هادئ مطوّل.

في الواقع حضر هذا الاجتماع كل أنواع الآلهة: اللطفاء والمتسلّطون، العنيفون، الخجولون والمتوحّشون، وحين ينفعلون يقومون بخدع سحرية يأخذون معها آلاف الأشكال بعضها جميل ولكن أغلبها مخيف مفزع.

اقترح اندرول على عقراب أن يضع معزوفة لكروبنيك. أثّرت الموسيقى الرائعة تأثيراً فورياً فهدأت العاصفة. انتهز عقراب الفرصة وقال:

- إخوتي الآلهة، نحن مختلفون الواحد عن الآخر، وهذا من حسن حظ المخلوقات التي لن تجد في غياب هذا الاختلاف حرية الاختيار. رغم كل هذا مسألة واحدة تجمعنا هي إرادتنا المشتركة في الاستقلالية ورفضنا لقوانين الشركات الدينية الاحتكارية الكبرى. مهما كان القرار الذي سنتخذه سيكون هدفه تنظيمنا، أقترح عليكم

أن نؤسس نقابة صغار ومتوسّطي الآلهة التي يمكنها وحدها إيصال صوت الآلهة الأحرار، الحرفيين والفنانين والفلاسفة أمام غطرسة الشركات الصناعية والتجارية للآلهة الكبار.

قوبل كلامه بموجة من التصفيق ووقعت الموافقة على إنشاء النقابة بالإجماع ناقص صوتين صوت الأمين العام وصانع الأحجبة.

بالتصفيق أيضاً انتخب عقراب سكرتيراً عاماً للنقابة وهارلوس سكرتيراً عاماً مساعداً.

بالنسبة لطريقة العمل انتصر الاعتدال بعد نقاش طويل. قرّروا بأغلبية ١٥ صوتا تكوين لجنة مهمتها مقابلة البابا وسؤاله عن كيفية الاتصال، وتتكون من عقراب وهارلوس وكممثل للكائنات الفانية اندرول.

الاسم الحقيقي للبابا بريء الثالث هو لولو كايتا أصيل بوركينا فاسو وهو أوّل بابا أسود وقع انتخابه في تاريخ المسيحية.

شيخ طاعن، فقد كان في السبعين حين رفعه البابا السابق لرتبة كاردينال، ولقد احتفظ بعقل حكيم ومعدة صلبة وروح مرحة.

ليلتها استقبل أربعين شخصا في اجتماع عام وبارك من نافذته جموع الحجاج في ساحة القديس بيار، وتناول عشاء خفيفا من سمك مجفّف وحساء، ثم تمدّد ليدخن سيجاراً في بيت الصلاة ويحتسي بيرة.

الكل يعلم أنه لا يجب إزعاجه في ساعة خلوته، ولكنه فوجئ بفتى صلب في السابعة عشر ورجل ملتحٍ يرتدي بنطالاً وقميصاً يرافقهما رجل نحيل رثّ الثياب. لكن استغرابه لم يطل لأنه رأى الكثير من شيطنة السحرة الأفارقة، وقال:

- مساء الخير أيها السادة. قال بصوت هادئ.

- مساء الخير قداسة البابا، اعذرنا لحضورنا بهذه الطريقة الفجائية، قال عقراب.

- لا يهمّ يا أبنائي، ولكن أرجو أن تبينوا لي كيف استطعتم

التواري عن أعين الحرس وخادمي الخاص والأساقفة الآخرين. هذا سحر. إذا كانت لديكم طريقة أرجو أن تعلّموني إياها لأني أحتاج في غالب الأحيان إلى الهروب من أعينهم.

ـ إنها معجزة، معجزة صغيرة قداسة البابا.

ـ أردت أن تقول إنها لعبة سحرية، لأني أنا الشخص الوحيد المخوّل له المصادقة على المعجزات ومعرفة الإرادة الإلهية الخارقة.

ـ في الحقيقة قداسة البابا نحن آلهة، أقصد أنا وصديقي هارلوس، هذا شخص فاني إنه أحد المؤمنين بي.

ـ قلت آلهة!؟ على الأقل لو كان أحدكم الأب والثاني الابن والثالث الروح القدس لقبلت الأمر ربما، لأن هذا أيضاً لا يكون إلا إلهاً واحداً وليس عديد الآلهة.

ـ ليس هناك إله واحد، قداستك، هناك عشرات الآلاف، وعلى هذه الأرض فقط يوجد أكثر من مئة.

ـ بالطبع يا صديقي، ولكن هناك واحد فقط حقيقي.

ـ في نظر قداستكم، ولكن الآخرين يوجدون نفس الوجود الحقيقي، والفعلي.

ـ نعم، هذا سؤال طرحته على نفسي في مناسبات عديدة. قال البابا مفكرا، يمكن وجود كائنات خارقة أخرى غير الإله القادر على كل شيء، لكنه يبقى وحده خالق كل

شيء وصاحب الفضل الأكبر والقوة العظمى منذ آلاف القرون، آمين.

ـ فعلا هنا نتفق مع قداستك تماما، لا اعتراض لديّ على التقديس الذي تحيطون به إلهكم والاعتقاد المطلق فيه. لكن الآلهة أحرار ومتساوون في مطلق الأحوال، مهما كانت قوة وعظمة مولاك، ولا ألومه على عظمته، ولكن لا يمكنه احتكار القوة. أمثّل هنا نقابة صغار ومتوسطي الآلهة. ومطلبنا الوحيد هو الإقرار بحقّنا في الوجود. لسنا جميعا متعطشين للانتصارات والعظمة. نطالب فقط بتركنا نمارس مهمتنا كآلهة بشرف وحرية.

ـ ولكن من يمنعك من ذلك أيها الصديق، قال البابا مبتسما كاشفا عن أسنان بيض، الكنيسة الكاثوليكية بعيدة جدّاً عن تغطية كامل المعمورة، ويمكنني المجازفة بالقول أن عدد أتباعها خلال السنوات الأخيرة في تناقص مستمر.

ـ لكنها تبقى رغم ذلك من أقوى الشركات في العالم.

ـ كانت، يا صديقي كانت! ولكن العالم تغير كثيرا، أقرّ أنّنا في مرحلة ما كان يمكننا إدّعاء الكونية واحتكار الأرواح. ولكن أين نحن من تلك المرحلة؟ علينا أن نتعاون مع الآخرين وننسّق معهم. أقابل رئيس أساقفة كنتربور وبطريق القسطنطينية وكبير الحاخامات ومفتي

القدس وحتّى مع أشراف الماسونية وكذلك مسيّري المنظمات الفلسفية الملحدة.

ـ في الجملة تكوّنون رابطة للتّحكّم في السّوق.

ـ يمكنك أن تسمّيها رابطة لكن السّوق حرّة، إلاّ في إيران على ما أعتقد لأنّ آيات الله هناك يستعملون وسائل لا يمكن الموافقة عليها... في كلّ مكان آخر يمكنك أن تجد المنافسة الحرّة التي تبحث عنها، لا أحد يناقشك هذا الحق، الزّمن لليبرالية... الترويج للأحسن.

ـ الواقع قداستكم، نحن نعلم، السّوق ليست حرّة. أنتم تتفاهمون مع ممثّلي الدّيّانات الكبرى ولكن أبداً لم تتفاهموا مع ممثّلي الصّغار، بالنسبة لهم الحرّيّة هي خديعة. في الواقع اتفاقكم يؤدّي إلى إفراغ السّوق من كلّ الديانات التي لا تتمكن من مجاراة نسق المنافسة، الأوراق مغشوشة... ليس على الأرض فقط تحدث هذه الألاعيب ولكن في عشرات الآلاف من الكواكب الأخرى.

ـ الحمد لله أني لست مكلّفا إلاّ بهذا الكوكب. إنها مسألة تتجاوزني، يجب أن تصعد إلى أعلى... أنا لست إلا مّدير فرع، يجب الاتصال بالإدارة العامة.

ـ بالضبط، نحن هنا لمعرفة أين يمكننا الاتصال به. في

العادة الآلهة تعرف بعضها ولكن إلهكم مختبئ... يجب أن يكون لديك طريقة للاتصال به.

- أكلمه بالصلاة ويجيبني بالإلهام.

- لو سمحت قداستكم، تدخّل هارلوس، نحن نعرف جيّداً هذه الطّريقة، ونحن نطبّقها مع مؤمنينا ولكنّها ليست ناجعة لإدارة آلة بروعة الكنيسة. لا بدّ من وجود توجيهات دقيقة وبرامج واضحة، وأعتقد أن عليكم أيضاً إرسال بعض التقارير الدورية.

- بكل أسف لا. قال البابا وهو يتنهّد ويطفئ عقب سيجاره، ولهذا أخطأت الكنيسة كثيراً في الماضي وستظل تخطئ الآن وفي المستقبل. رغم أني الناطق باسم الله في الأرض إلا أني متروك لذاتي، ولا أعلم إن كان إلهامي رسائل من الروح القدس ام أوهاما من عقل عجوز خرف.

- تريد القول إنكم لم تتلقّوا أبداً توجيهات مباشرة؟

- حصل ذلك مرّتين منذ زمن بعيد، لمّا تلقى موسى الوصايا في جبل سينا ولمّا بشّر عيسى، تجد أناس ادعوا أن لهم رؤى أو سمعوا أصوات ولكن الحقيقة أني أحترس منهم كاحتراسي من الطاعون.

- الذي لم أستطع فهمه هو أنّكم تثقون ثقة عمياء في قائد

لم يظهر لك قط، وأنه يثق بكم ثقة مطلقة دون أن يتصل بكم مرّة واحدة.

ـ إنها يا بني أسرار الإيمان والرحمة على ما أعتقد.

ـ أنت تعلم أني أومن بك قبل سنوات طويلة من ظهورك لي. قال اندرول وهو يضع يده على كتف عقراب.

ـ نعم، ولكني لم أطلب منك مطلقا أن تتصرّف نيابة عني، وأنا لم أعط قطّ لأي أحد أوامر يطبقها دون أن يقتنع بها. جعلت منك ومن بيتسوك أنبياء لي إنه صوتي الذي يخرج من أفواهكما ولكن الأفواه ملك لكما. إذا كففتما يوما عن الإيمان بي ستنطقان بكلامكما ولا أحد له الحق في القول إنه كلامي.

ـ لكني أعتقد دوماً في إلهي الواحد في ثلاث أشخاص وفمي ملكه.

ـ دون شك، لكن قداستكم تجهل ما يريدك أن تقول وأنتم تجهلون نيّته الحقيقية.

ـ هذا الجهل هو أحد نقائصي كبشر ويجب أن أقبل بتواضع يقارب الذلّ.

ـ لو سمحت قداستكم، لا أحد مثلي يقدّس فضيلة التواضع، ولكن الذي تدعوه تواضعا هو خضوع ذليل. التواضع أدعى للفخر منه. إنه الانتصار على النفس

تحققه كلما تخليت عن استعلائك. لا أشك في تواضعك ولكن هل إلهك متواضع؟

ـ المسيح كان متواضعا.

ـ بدون شك ولكن الأب والروح القدس؟ اثنان ضد واحد ديانة إلهكم تتنفّس الغرور. يواصل الادعاء أنه سيد الكون في زمن يرفض فيه الناس الانحناء أمام الملوك كما قلتم توافقون أن يعاملوك كنائب ملك بحاشية من أمراء الكنيسة والنبلاء.

ـ لست ممّن يروق لهم هذه الأشياء، ولست واثقا أن هذه التراتبية ناتجة عن إلهام إلهي ولكن أنت نفسك تناديني قداستكم.

ـ أناديك قداستكم كما ننادي الطبيب دكتوراً والمحامي أستاذاً.

ـ ولكن اسمح لي بملاحظة هل تتوجّه إلى رئيس نقابة الأطبّاء أو عميد المحامين وتسأله عن المسؤول عن القوانين أو المناشير المنظّمة للطّبّ؟ إنّي مثلهم عاجز عن إجابتك. أفرغ كأس بيرته وتثاءب مفكرا. ثم واصل: الرّجل العجوز في حاجة إلى الرّاحة، يجب أن نفترق يا أصدقائي. ولكن قبل ذلك سأكون صريحا يا عقراب: أن تكون إلهاً أو لا تكون مسألة لاتهمّني كثيراً لأنّ لي واحداً وهذا يكفيني جدّاً لكن ديانتك حقيقية. أعترف لك

أنها أقلقت مرؤوسي، وأنّهم حاولوا في البداية أن يعرقلونك بشتّى الوسائل. لا تضع اللوم على السيّد بيدول. إنّه يقوم بعمله، مهمّة ممثّلينا هي تصفية المنافسة. أنا الذي أمرتهم أن يتركوك في سلام. لقد قرأت كتابك... ما عنوانه؟

ـ الأذن الكبرى

ـ نعم... عنوان جميل جدّاً. لا أحد يسمع الآخر. أطروحتك ليست دائماً مطابقة لتعاليم الكنيسة السّمحة. ولكن كما أسلفت القول هذه التّعاليم من عمل الإنسان أكثر منه إلهام إلهي. لكنّي أقرّ أنّ كتابك ينضح كرما وحبّا صادقا لحرّيّة الإنسان. لم أجد فيه أيّة علامة شرّ، أنت بعيد جدّا عن الشّيطان.

ـ بالفعل قداستكم... الآلهة هم الأعداء الأبديّون لأبالسة للجحيم، هذه القوى العمياء التي تحاول جهدها أن تعيد العالم لسديمه الأوّلي... حرية الكائنات هي السلاح الأنجع ضدّهم، ودور الآلهة هو أساسا دعم هذه الحرّية وتشجيعها.

ـ أنا أسمّيه الفكر الحرّ وهي تعاليم جيّدة. إذن أنا لا أعتبرك خطرا، وما دمت حيّا لن تحسّ بأي قلق من الكنيسة الكاثوليكية، وبالطبع لا يمكنني الحديث باسم الديانات الأخرى وخاصة... انكمش وجهه واتّخذت

تقاسيمه شكلاً آخر جاداً ومؤلماً، وواصل خاصة لا يمكنني التكهن بنوايا سيدي الأعظم، إن سبله كما تعلم لا يمكن لأحد طرقها.

ـ لست أوّل مفوَّض يخفي عنه سيده أسرار سياسته التجارية. لكن فلتعلم قداستكم أن نقابتنا ستجبره على كشف أوراقه.

ـ سيكون ما يجب أن يكون. والآن أصدقائي يجب أن نفترق، لا أجرؤ على منحكم بركتي وأنتم تسمّون أنفسكم آلهة.

ـ فلتتقبل قداستكم بركتنا، قال عقراب وهو يضع يده صحبة هارلوس على الرأس العجوز الأسود ذي الرداء الأبيض.

مات البريء الرابع عشر بعد ثمانية أيام. خليفته جون بول الثالث صقلّي متعصّب وضع «الأذن الكبرى» في قائمة الكتب المحرّمة وأمر أساقفة بلعن ديانة عقراب.

الأشهر اللاحقة كانت فضيعة لعقراب وأصدقائه. مثقلا بمهماته النقابية الجديدة تلهى الإله قليلاً عن متابعة نشاط أتباعه الأوائل. بطبيعة الحال يحضر دوماً في اجتماعات الأربعاء، لا شيء يمكنه أن يشتت اجتماع من أصبحوا يسمون أنفسهم «مبشري الأذن الكبرى». تراهم يتابعون كل ما

يحدث في العالم ويتحرّكون بأنفسهم كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

المزارع التي خضّرها فالب في الساحل الإفريقي وقع تجريفها وتخريبها من قبل أقوام رحّل لا يعلم أحد من أين جاؤوا، وقد نجا بأعجوبة من ضربة رمح سدّدها محارب متعصّب. في الشيباس بجنوب المكسيك كادت ميرا تهلك في هجوم قامت به ساحرات تقليديّات ينتمين إلى الكنيسة الكاثوليكية الغاضبات من انتشار المستوصفات في المنطقة.

في أفغانستان وقع اختطاف بيتسوك واحتفظ به كرهينة ولما تمكّن من الفرار وقع بين فصيلين متحاربين يتبادلان قذائف الرّوكات. وفي زيارة رسميّة لأمريكا اللاتينية كاد كراك يهلك في غارة جويّة خلّفت أكثر من خمسين قتيلا. ولا أحد يعلم من كان المقصود منها.

في إفريقيا الجنوبية وقع إيقاف جون أثناء قيامه بتحقيق صحفي وضُرب بوحشيّة من قبل البوليس عندما حاول دخول معزل للسود. ثم وقع انفجار في مخابر إيليا قضى على مجهود عدّة أشهر.

في كل مرّة يتدخّل عقراب في الوقت المناسب لإنقاذ أصدقائه، لكنه لا يتمكّن من تلافي الخسائر الماديّة والبشرية. يبدو أن قوى أعظم من سحره تستهدفه وتستهدف أعماله.

خمّن مدّة أنّها هجمة من أبالسة الجحيم، فسلّح أصدقاءه بقنابل مضادّة لكنها لم تنفع في شيء.

رغم ذلك لم يتخاذل وواصل باسم نقابة متوسّطي وصغار الآلهة مهمّاته الاستكشافيّة. عندما ذهب إلى أورشليم لمقابلة الحاخام الأكبر صحبة كروبنيك ذي الأصل اليهوديّ مُنيت المهمة بالفشل. استقبل الحاخام المجموعة بحفاوة ولكنه رفض بحزم أي حديث عن الأمور الدينية. أكثر ما أمكنهم الحصول عليه هو اعترافه أن له مع يهوذا وشركائه علاقة متميزة، لكنه رفض الإقرار بأن له علاقات مباشرة مع الإدارة العامة.

- لقد تلقى اليهود منذ آلاف السنين بياناً بما يجب عليهم، ولهم الآن أن يكتشفوا ما هم بحاجة إليه. لقد أسّسنا دولة إسرائيل لنضمن سلامة تسليم البضائع. الباقي ليس في دائرة اختصاصي.

في إيران واجهت البعثة، المكوّنة من عقراب وهارلوس واندرول وهرمزاد إله فارسي قديم مازال لديه بعض أتباع في الهند، متاعب عديدة للوصول إلى كبير آيات الله. الذي تحرسه حواجز قوية من السّحر ضدّ أي تدخّل خارجي. وحّد الآلهة الثلاثة سحرهم لاجتياز حاجز السّحر، وعندما وجدوا أنفسهم أمام عجوز معمّم ذي لحية طويلة وحواجب كثيفة ونظرة سوداء اصطدموا بقناعة لا تتحطّم.

ادّعى العجوز أنه الممثل الوحيد لله L.T.D وتحدّث كأنه في اتصال دائم بالإدارة العامة، لكن عدم تناسق أقوله يبعث على الشك: «الله أكبر وكل ما لا يخضع له فهو شيطان، هناك شيطانان، وأنتم شياطين صغار. سيُقضى عليكم».

ثم وضع جبهته على الأرض باتجاه الكعبة وانغمس في صلاة لا نهائية، ولم يستطيعوا انتزاع كلمة أخرى منه.

كان البحث عن البروتستانتيين أصعب بكثير. لاقوا أشخاصا من كل الأنواع، بعضهم متعالون مستخفّون بغيرهم، وآخرون لطفاء عاجزون كبريء الرابع عشر، والصّنف الأخير متحذلق عصيّ عن الفهم مثل الحاخام الأكبر. لكنهم يتّفقون كلهم في نقطة: حرية الإنسان ليست نعمة لكنها عبء على كاهل الإنسان نتيجة الخطيئة الأولى ولا يمكن استعمالها إلا في الحدود الضيقة التي وضعتها الإرادة القادرة على كل شيء.

بعضهم يدّعي على تعليمات مباشرة من هذه الإرادة لكنهم يتملصون من فحوى هذه التعليمات.

ختموا جولتهم بزيارة الدكتور كرّوتر كبير أساقفة الكنيسة الإنكليكانية. استقبل الأسقف عقراب وهارلوس واندرول في مكتب عيادته المليء بالكتب. أجلسهم على مقاعد وثيرة وسقاهم كأس شيري. دارت المناقشة بالإنكليزية وكانت فرصة ليمتحن اندرول معلوماته المدرسية، وقد نجح

بملاحظة قريب من الحسن رغم أن نطق الأسقف كان صعب الفهم.

استمع الدكتور وهو يضع أصابعه تحت ذقنه مفكراً بأقوال عقراب ثمّ قال أخيراً:

ـ فهمت، أنتم تشكون من عدم قدرتكم على تأطير كنائسكم كما ترغبون.

ـ المسألة لا تتعلق بالكنائس، سيدي الأسقف، أنا نفسي لا أملك كنيسة ولا أرغب في امتلاكها، المسألة تتعلّق بالدين.

ـ ولكن، يا صديقي، لا يمكن وجود ديانات دون كنائس. لو أتذكر جيّداً اللغة اللاتينية التي درستها في أكسفورد كلمة كنيسة مأخوذة من كلمة EkkLESIA التي تعني جمعية. منذ اجتماعهم يكوّن أتباعك كنيسة، مذ ذاك يلزمهم طقوس وقواعد وطرق للصلاة وقساوسة لتوجيههم.

ـ لا سيدي الأسقف، كل ما أنتظره منهم هو أن يؤمنوا بي بحرية وأن يستمعوا لنصائحي إن رغبوا في ذلك، ولا أطلب منهم حتى إتباعها.

ـ هذه مطالب متواضعة، وتقول إنك تلاقي صعوبات.

ـ نعم سيدي الأسقف، ولنا أسباب وجيهة لنفكّر أن هذه الصعوبات متأتية من الأعلى.

ـ تريد القول... رفع الأسقف حاجبه وأشار إلى السقف بإصبعه.

ـ من الإدارة العامة سيدي الأسقف، وقد فكرنا أنه يمكنك مساعدتنا للدخول في حوار مباشر معها.

ـ أنا! لكني لست سوى موظّف بسيط. رئيس الكنيسة الإنكليكانية هي ملكة بريطانيا.

ـ تعتقد أننا لو ذهبنا...

ـ لا أنصحكم بذلك، نظامنا برلماني ولا يمكن لجلالتها أن تقول لكم شيئا دون موافقة الوزير الأول وهو، والكلام سرّ بيننا، ملحد لا عقيدة له، زد على ذلك أن الدين مسألة شخصية يجدر برجل نبيل أن يتجنبها في محاوراته.

بعد كل زيارة يقدّم عقراب ومرافقيه تقريراً عن مهمّتهم للجمعيّة العامة لنقابة صغار ومتوسطي الآلهة.

كما هو متوقّع، كانت خيبة الأمل عظيمة وبدأ الغضب يغلي على مراجل كبيرة. شيئا فشيئا تفتّتت الأغلبيّة المعتدلة وقوي أنصار العمليات الإرهابية، زعيمهم الإله كروباه الذي يحتفظ ببعض الأتباع من قبيلة قاطعي الرؤوس في بورنيو لا يعرف شيئا عن الاعتدال.

ـ نحن كثر، يمكننا ضرب مصالح الشركات الكبرى أينما

ظهرت، فلنهدم دزينة كنائس ومعابد وأديرة ومساجد وسترون كيف نجبرهم على التحرك.

ـ لكننا سنوقع ضحايا بشرية بريئة تماماً.

ـ لا نصنع عجّة دون كسر البيض، وكل إله سيتعرّف على أتباعه. هناك أمكنة للجميع في الجنان.

ذات ليلة كاد عقراب أن يخسر المقابلة، كانت الأغلبية مستعدة لإتّباع كروباه لو لم تطلب العجوز ليليت الكلمة:

ـ ها أنا أستمع إليكم منذ أشهر، وأرى أنكم لم تتقدّموا خطوة واحدة نحو حلّ مشاكلكم. لقد ثبت الآن أن المفاوضات فشلت. ولكن هل يجدر بنا اللجوء إلى العنف؟ إنكم لا تعلمون من ستواجهون، كانت هناك محاولات في الماضي، انتفاضات الجبابرة ضد جوبيتار وانتفاضة رؤساء الملائكة ضد يهوذا. كل تلك المحاولات انتهت بفشل ذريع وانتهى المنتفضون إلى عصبة أبالسة الجحيم. صدقوني لقد عرفت يهوذا جيّدا، وأعرف كيف يردّ قادة الديانات الكبرى الفعل. الطريقة الناجعة الوحيدة هي الحرب النفسية.

ـ هذا ما قلته، صاح كروباه. فلنخفهم وسينثنون أمام رغباتنا.

ـ سيخافون ولكنهم لن ينثنوا أبداً. الخوف لا يولّد إلا القمع الوحشي. يجب أن نستغلّ نقطة ضعفهم وهي

تتمثل في حبهم لأنفسهم. يسمّون يهوذا «الإله الغيور»، لا يمكنه احتمال أن يصنع أحد شيئا في مثل جمال صنائعه. يمكننا نحن جميعا أن نعمل أحسن منه وسترون كيف سيرد الفعل. بكم تقدّر يا عقراب عدد الأدعية التي تصعد من الأرض إلى كبار الآلهة كل يوم؟

ـ لا أعلم ولكن بين ثلاثة وأبع مليارات.

ـ ٩٠٪ منها صلوات شعائرية دون معنى معيّن. فلنقل بين ٣٠٠ و٤٠٠ مليون دعاء يعبرون عن رغبات وطلبات مساعدة أو نجدة. نحن حوالي المائة يعني حوالي أربعة ملايين دعوة يجب أن ينفذها كل واحد منا في اليوم الواحد، وهذه مسألة لا تتجاوز قدراتنا إذا نظمنا عملنا جيداً. الشركات الكبرى لهم بيروقراطية معقّدة تستهلك الكثير من الوقت لتلبية الطلبات. نحن يمكننا تلبيتها فوريا والانتصار عليهم بسرعة.

ـ ولكن الناس سينسبون لهم الفضل في ذلك!

ـ الناس، ربما، لكن الشركات سيتفطنون لذلك عندما تتعطّل خدمات التسليم لديهم بمئات الملايين من المعجزات المرفوضة لازدواجها.

ـ لكننا لا نستطيع تلبية كل الرغبات، قال عقراب، هناك من يطلب من إلهه أشياء فضيعة. أعرف واحداً رجاني سابقاً أن أكسر ساق أستاذ الرياضيات.

ـ يجب إجراء فرز، ردّت ليليت، مشروع مثل هذا لا يمكن ارتجاله. أقترح تكوين لجنة لآداب الدعاء، لا يمرّرون الأدعية التي ليس لها نوايا طيّبة.

ـ هناك أيضا، قال هارلوس، مشكلة الأدعية المتناقضة، عندما يتلاقى جيشان كل جيش يدعو ليكسب المعركة، من يجب علينا اختياره؟

ـ فلنقل أن الدعوات المتناقضة تلغى، بعد كل الإلغاءات يمكننا أن نخفض عدد الأدعية اللازم تحقيقها إلى أقل من مليون لكل منا، يعني أربعين ألفا كل ساعة أي تقريباً عشرة في الثانية، وهو تواتر يمكننا جميع مجاراته دون تعب، فكّر عقراب وهو يلامس لحيته وقال: الأمر الصعب والذي سيستغرق وقتاً طويلاً إضافة إلى لجنة الفرز هو وضع جهاز لالتقاط الأدعية سنحتاج في وضعه لمساعدة إنسانية.

ـ أنصح، قالت ليليت، بإسناد رئاسة اللجنة إلى إنسان، نحن الآلهة يمكننا أن ننحاز، عقراب لديك عدد مهم من الأتباع، هل تعرف رجلا أو امرأة له من الحكمة والاستقلالية ما يجعله جديراً بتحمّل هذه المسؤولية؟

ـ اعرف شخصا، قال عقراب مفكرا، لكنه ليس من أتباعي، إنه ملحد تماماً. أفكر في الأستاذ صوفرون إنه أخصائي أديان وله آراء ثاقبة.

ـ ناقش معه الأمر.

وقع تبني فكرة ليليت بالإجماع ناقص صوت كروباه. ذهب عقراب في نفس الليلة صحبة اندرول لمقابلة صوفرون وعرض عليه الأمر.

مسح الأستاذ نظاراته، وقال:

ـ أنت تمنحني شرفاً عظيماً، مع ذلك أقبل أن أنظر في المسألة بشرط وحيد.

ـ ما هو؟

ـ أن لا تقع الاستجابة للدعوات الموجهة للآلهة فقط بل نأخذ في الحسبان كل صيحات الاستغاثة وطلبات النجدة مهما كانت طبيعتها.

ـ موافق، ولكن هذا يجعل عملك أثقل.

ـ كم من الوقت تعطوني لذلك؟

ـ يجب قبل ذلك وضع شبكة استقبال على كامل الكوكب ثم إطلاق قمرين صناعيين لهما نفس نسق دوران الأرض لتتناوب مع الهوائي الذي سأركزه على منارة جون كريستوف. فلنقل أن كل هذا سيستغرق سنة.

ـ في الأثناء أكون قد حللت مشكلة الفرز. بضعة ملايين من الأدعية تصعد يوميا إنها ليست مسألة صعبة بالنسبة لكم، إنكم آلهة بحق، ولكن بالنسبة لكائنات فانية مثلنا

فهذا يفوق بكثير قدراتنا العقلية. يجب الاستعانة بالمعلوماتية. ولا أعتقد أن حاسوبي يكفي لمثل هذه المسألة المعقّدة.

ـ البروفيسور بيك زامب والدكتورة إيليا لابور يملكون حواسيب قوية في مخابرهما وسيكونان سعيدين بالتعاون معنا.

ـ يجب إعداد برمجيات وقائمة بالكلمات المفاتيح، وبما أن الدعوات في العالم تعبر بأكثر من ألفي لغة دون اعتبار اللهجات فهذا سيكلفنا عملا شاقا. أخشى ألاّ نكون جاهزين قبل عامين عزيزي عقراب... هل هذا كثير؟

ـ الآلهة أمامها الأبدية!

ـ نقطة أخيرة. سيكون علينا أن نشير إلى مشروعكم في كتاباتنا أو حواراتنا، العرف في هذه الحالة أن نرمز إليه باسم، ماذا تقترحون؟

ـ باعتبار أننا سننصت إلى كل أدعية العالم، قال اندرول، أقترح «عمليّة الأذن الكبرى».

بدأ تحضير عمليّة «الأذن الكبرى» في نوفمبر، ونجح اندرول في امتحان الباكالوريا في جوان والتحق كطالب في مختبر البروفيسور بيك. في سنته الأولى سيدرس مدخلا للبيولوجيا الحيوانيّة والنباتيّة، لكن البروفيسور كلّفه بمهمّة إضافية:

- ستقوم ببحث في الإعلامية لتكون قادراً على إعداد برمجيّات. سنطلب من التّقنيين أن يصلوا حاسوبنا مع حواسيب إيليا وصوفرون، لن يكون الأمر سهلا. وحتى بهذه الطريقة لن تكون ذاكرة الحواسيب كافية.

لقد طلب صوفرون قرضا هائلا لشراء حواسيب إضافية بذريعة إعداد بحث سوسيولوجي كبير حول الأديان، وفد سانده كراك وهو صديق شخصيّ لوزير البحث العلمي.

وقد قال البروفيسور لاندرول أثناء التّحضير للعملية:

- بما أنّ عقراب قد منحك موهبة اللغات مع بيتسوك ستكوّنان فريقا لوضع طريقة لتحليل الأدعية، طلبت من الأستاذ كلوبف رئيس قسم اللّغات الانضمام إليكم إنه متحمّس للفكرة ومؤمن بعقراب، لكنه لا يعلم الطّبيعة الحقيقيّة للمشروع لأن السرّية التّامة واجبة.

إثر ذلك جمع صوفرون فريق آداب الأدعية وزوّدهم بتعليماته. جعل سيكدال وميرا وإيليا أعضاء في الفريق، خمّن صوفرون أن في هذه المواد تكون حساسية الأنثى أدقّ من حكم الذكور. وقال لهم:

ـ أعقد المشاكل وأصعبها التي يجب حلّها هي مشكلة الخير والشرّ. لقد وقع الاتّفاق على ألا نأخذ بعين الاعتبار إلاّ الأدعية التي تعبّر عن نيّة طيّبة. ولكن ما هي النوايا الطيبة؟ كبشر يمكننا الإجابة بديهيّا عن هذا السّؤال مع إمكانية كبيرة للوقوع في الخطأ. لكن الحاسوب يحتاج إلى أوامر دقيقة، إذا أردناه أن يرفض الأدعية السّيئة فعلينا أن نعطيه طريقة واضحة للتفريق بين الخير والشرّ.

ـ المشكلة، زميلي العزيز، قال كلوبف الذي يحضر كمستشار مع اندرول، أن كلّ لغة تضع معاني مختلفة وراء الكلمات التي تعني الخير والشر. الصّينيون مثلا لهم مفهوم عائلي: ليكتبوا «هاو» يعني الخير لديهم حرف يشبه أُمّا مع طفلها. اليونانيّون أكثر فردية: بالنسبة لهم الخير «أغاتون» يعني نبل الفكر وجمال الرّوح. الرومان أكثر جشعا عندما يقولون «بونوم» يفكّرون أساسا بالثّراء والرّخاء الماديّين.

ـ أعلم، قال صوفرون، كما يجب أن نقرّر إن كنّا سنأخذ

في الحسبان الخير كما يفهمه الذين عبّروا عنه بالدعوات أو كما نتصوره نحن الفرنسيين معبر حضارات عديدة قدّمت كل واحدة منها مفهومها للأخلاق.

- يجب أن نضيف، قالت إيليا، أننا لسنا دائماً متأكدين من معرفة الخير والشرّ. لنأخذ مثال «الموت الرحيم». مريض في غيبوبة تامّة لا يمكن حتى لمعجزة أن تنقذه فإذا ما دعا أحد أقاربه أو شخص يحبّه أن يموت بسرعة، هل هذا خير أم شرّ؟ هل نحقّق دعوته.

قدّم لهم كراك الذي حضر معهم الاجتماع بداية الحل:

- كلّ ما في الكون مصنوع من تناقض: التعارض بين الخير والشر واحد منها. يجب تحليلها بفكر جدلي، يعني حاوِلوا أن تنهوا التناقض بين الأطروحتين.

- للأسف، قال صوفرون، الحواسيب تعمل وفق مبدأ الكل أو اللاشيء. بالنسبة لها إما نعم أو لا. ليس لديهم الفكر التأليفي. يجب أن نبرمجها بمبدأ رئيسي يقودها وإلاّ فإننا سنغرق في الحالات الاستثنائية التي يجب علينا حلّنا.

- لو سمحتم، قال اندرول الذي نادراً ما يتكلّم ولكنهم ينصتون له بانتباه لأنه أوّل أتباع عقراب، حسب اعتقادي نحن نتبع طريقا خطأ إذا حاولنا تعريف الخطأ. إنها مسألة تناقض مثلما أشار كراك وأعتقد أنه على صواب

وربما يكون تعريف الشيء أصعب من تعريف نقيضه. في حين أنّ نقيض الخير هو الشرّ. وأتذكّر جيّداً عند كتابة «الأذن الكبرى» مع جون أنّ عقراب قال لنا أن الشرّ هو كلّ ما يضع عائقا أمام حرية الإنسان: الفقر والإحباط والمرض والموت، ربّما يمكننا الانطلاق من هنا.

هكذا قرّروا البدء. وأخذت الأشغال تتقدّم بسرعة، ودامت ستة أشهر، وقع تركيز برنامج للفرز الأوتوماتيكي. قام الأخصّائيّون بترجمته للغة الحواسيب وبدؤوا في مسألة التّحليل اللغوي للمحتوى، إنه عمل أسهل لكنّه طويل ومملّ. ينظر كلوبف بحسد إلى بيتسوك واندرول وقال:

ـ لقد كنت فخوراً بإتقان اثنتي عشرة لغة أما أنتما فأعتقد أنكما تتقنان أكثر من ألفين.

ـ ٢١٠٧ بالضبط، قال اندرول، ولكن لا نعرف سوى الحديث بها أمّا أنت فتعلم طرق تنظيمها وعملها، وهذا أهم بكثير.

رغم أنّه أصبح عالما فإنّ أندول مازال خجلا من العمل مع أستاذه القديم. الأستاذ لا يتسامح في خطأ نحوي بسيط حتّى لو تعلّق الأمر بتلك الكتابات المعقدة التي لا تعرف أسرارها سوى لغات آسيا.

أجرى في جوان امتحانات آخر السّنة ونجح بملاحظة

متوسّط لأنّه كان مشغولا جدّا بعمله الإضافي. ولكن بيك المتشبث بوظيفته كأستاذ لا يقدّم هدايا إلى أحد.

في الرّبيع كانت كلّ برمجيّات الإعلامية جاهزة واستقبل حاسوب صوفرون بمساعدة كراك الوحدات الضّرورية التي تمكّنه من استقبال أكثر من ١٠ مليارات معلومة.

حسب البرنامج ستفرز الحواسيب آليّا كلّ الدّعوات التي استقبلها جهاز الاستقبال. وتعرضها بحساب ١٠ كلّ ثانية في المعدّل على المائة شاشة التي ستجلس أمامها الآلهة. الطّلبات التي تسبّب مشكلا وتتطلّب تدخلا بشريا ستعرض على شاشة خاصة حيث تجلس اللجنة الخاصة بآداب الأدعية التي يرأسها صوفرون. لا يمكن للحالات المشكلة أن تتجاوز الخمسين يوميا.

منذ أن أصبح كراك رئيس بلديّة كرباك غيّر المفوّض بوديف معاملته لأصدقاء عقراب. فهو الذي أمّن، دون أن يعلم محتواها، عمليّة «الأذن الكبرى». ضبط ذات ليلة مشبوها يحاول دخول الطّابق الأرضي بنزل المدينة.

ـ إرفع يديك أيها الأحمق.

التفت الآخر، كان رجلاً قصيراً مسالماً وقال:

ـ ما هذا؟ كنت مارّا فقط.

ـ لا تكذب أيها الأحمق ستتعلّم في قسم الشرطة، خذوه.

حصل إثر ذلك أمر غريب: تضخّم المتّهم فجأة حتّى صار

عملاقا أشقر مرتديا الأبيض بأجنحة مفتوحة يمسك بيده سيفا ناريا. وعيناه الزرقاوان تنظران للمفوّض بسخرية.

- هيا أيها المفوض، لا تعامل زميلاً بهذه الطريقة! أنا الملاك الأكبر من الصنف الأول من أبيدال من الفيلق الثالث من الحرس الملائكي في خدمة الخالق القدير! أنا في مهمّة خاصّة.

- في مه...مهمّة خاصّة. قال بوديف بارتعاش، لكنّه ليس جباناً، استعاد قوّته بسرعة وواصل: مهمّة أو لا ليس لك الحق في العمل في حدود هذه المدينة. أنا المسؤول الوحيد عنها، أرني أوراقك.

قهقه الملاك واختفى في لمح البصر مخلّفا ضوءا باهرا.

نقل بوديف الحادثة لكراك الذي اتصل بعقراب الذي قال:

- التهديد بدأ يتّضح، لقد عرفوا موقعنا، سأجمع المكتب التنفيذي للنقابة. يجب التعجيل ببداية العملية بأسرع وقت ممكن.

- أين وصلتم؟

- تقريباً كل شيء جاهز. لم يبق سوى تركيب لاقط للأدعية في القطب الشمالي لقبيلة من الإسكيمو وأخرى في قلب التيبت على علوّ سبعة آلاف متر لمجموعة من اللاماوات مجهولة لحد الآن. خلال ثمانية أيام يمكننا إعطاء إشارة الانطلاق.

حدّد يوم ٢٥ سبتمبر للانطلاق في العمليّة أي بعد ٢٢ شهر من بداية التحضيرات على الساعة الرابعة ظهرا.

على السّاعة الرّابعة إلاّ الرّبع كان الآلهة المائة أمام شاشاتهم في قاعة العمليّات التي خصّصها لهم كراك بسرّية في الطّابق السفلي لنزل المدينة. تحتلّ مؤخرة القاعة لوحة كبيرة بأضواء خضر وحمر تشير إلى عمل ٨٥٠٢ لاقط أدعية موزّعين على كامل الكرة الأرضية، مع علامتين منبّهتين كبيرتين تعلم بانتظام عن عمل القمرين الصّناعيين. لون المنبّهين الآن أخضر.

هاتفان أحدهما أخضر والثاني أبيض يربطان المنصّة المركزية التي يجلس عليها اندرول بمنارة جون كريستوف وبالقاعة الصغيرة حيث تجتمع لجنة آداب الأدعية برئاسة صوفرون أمام شاشة خاصة.

اقترب عقراب من مكبِّر الصوت وقال:

ـ انتباه، انطلاق عملية «الأذن الكبرى» خلال ١٥ دقيقة. استعدّوا للاستجابة، استناداً إلى تقديراتنا لن تتلقوا خلال الساعة الأولى أكثر من أربعة أو خمسة أدعية في الثانية على كل شاشة، ليصل إلى حدّ أقصى ١٤ في الثانية عند منتصف اللّيل عندما ستستقبلون، نظراً لفارق التوقيت، الأدعية المسائية للأمريكيين والأدعية الصباحية للآسيويين... عشر دقائق.

تغيّر لون ستُّ علامات إلى الأحمر فقام اندرول ببعض التعديلات اللازمة فعاد الأخضر.

ـ إذا تجاوز النّسق قدراتكم، قال عقراب، يمكنكم الضغط على الزرّ الأزرق لتحويل جزء من الأدعية إلى شاشة أقلّ ازدحاماً لتحتفظ بها ذاكرة الحاسوب لتظهر في وقت تقلّ فيه الأدعية... خمس دقائق.

اتصل جون كريستوف ليقول أنّ سربا من النوارس يقترب من سواحل كيرباك يشوّش الاستقبال، شغّل اندرول جهاز التحكم عن بعد ليضاعف الباث الفوقصوتي. بعد دقيقتين اتّصل جون كريستوف ليعلمهم أن سرب النوارس قد ابتعد.

ـ دقيقة واحدة، أعلن عقراب، استعدّوا، أضيؤوا الشاشات، اختبار اللّواقط.

ـ كل شيء جاهز، أجاب اندرول.

ـ ٣٠ ثانية... ١٥ ثانية... ٥.. ٤.. ٣.. ٢.. ١ انطلاق.

ضغط اندرول على الزرّ الأبيض الكبير فبدأ مباشرة تواتر الرسائل المدوّخ على الشاشات. بتركيز يقرأ الآلهة الأدعية في جزء من ثانية ويضربون أجوبتهم على الملامس تمرّ أصابعهم من ملمس إلى آخر بسرعة خياليّة ومع كل لمسة تتحقّق أمنية في ناحية من أنحاء العالم.

وقع الاتّفاق أن.تجتمع لجنة آداب الدعاء على حصّتين بست ساعات للواحدة حفاظاً على سلامتهم الصحية. يقع

الاحتفاظ بالحالات الإشكالية في ذاكرة الحاسوب ليعرضها بمعدّل خمس أو ستّ في السّاعة. أغلبها كانت مشاكل سهلة يقع البتّ فيها خلال ثوانٍ. ورغم ذلك هناك واحدة استغرقت حوالي نصف ساعة من النقاش: امرأتان تختصمان حول طفل، أمه والمرأة التي ربّته طيلة ثمان سنين. ثلاث أدعية متناقضة صعدت معا: كل امرأة تدعو للاحتفاظ بالطفل الذي يدعو ليحتفظ بهما معا. وقع قبول اقتراح سيكدال بتعديل قانون الأحوال الشخصية لتظهر المرأتان توأمين تفرّقا منذ الصغر وقرّرتا العيش معا صحبة الطفل.

كل ثمان ساعات ينوب معاون بيك أو إيليا اندرول على لوحة القيادة. اللاقطات تعمل دون أي عطل، عندما تضيء علامة حمراء يكفي الضغط على زرّ أصفر ليعود كل شيء إلى حالته أوتوماتيكيا.

في لحظة ما وقع اضطراب بسيط حين صعدت من وسط إفريقيا دعوة بلغة لا يعرفها أحد. تقدّم بيتسوك في الحال بحركة سحرية فوق رأسه فبدأ مباشرة في الترجمة، كان قزما وسط الغابة الاستوائية يدعو أن يصيب رمحه قلب الفهد الذي يهدّده، أرسلت الدعوة إلى كروباه الذي لامس زرّا بإصبعه ليوصل السلاح إلى قلب الوحش.

مثل كل الآخرين، انغمس الآلهة الدمويّون في اللعبة، واكتشفوا الفرح العميق السرّي لعمل الخير. وقع تركيز لاقط

الصادحة بالشكر في سمّاعات الآلهة مما ضاعف في همّتهم لإنجاح العملية.

بدأت ردود الفعل بعد ثلاثة أيام من انطلاق عملية «الأذن الكبرى» في كلّ مكان ظهر ملائكة وجنّ وجبابرة وشياطين وعفاريت، وساحرات يسألون المؤمنين المبهورين بأصوات غاضبة عن سبب تعبيرهم عن رغبات وقع الاستجابة لها مسبقا.

في نفس الوقت اجتاحت البشرية موجة من الغبطة، يكفي أن يتمنى الشخص أمنية حتى تتحقق، بالطبع الأشرار لم تتحقق لهم أمانيهم: يقع تجاهل كل الدعوات الشريرة. ولكن كل ما هو بريء ومفيد يقع تحقيقه، في مدينة كيرباك ظهر سحريا ٢٠٠٠ تلفاز و٥٠٠٠ غسّالة أوتوماتيكية و٤٠٠٠ غسّالة أواني مطبخ و٩٠٠ ثلاجة. المستشفيات أفرغت من ٤/٥ المرضى الذين بقوا لم يكن لديهم ما يكفي من الأصدقاء أو الأقارب للدعاء لهم. وقع ١٤٧٢١ تصريح بالحب و٥٦٠٤ إعفاء ضريبي و٢٧٨١٣ حالة سوء هضم ذلك أن أفقر الناس يجدون موائدهم مليئة بالأطعمة، أغنياء وفقراء أعينهم أوسع من بطونهم.

لم تكن النساء بمثل هذا الجمال وتلك الأناقة والزينة، لاحظ صوفرون أن الفقراء يتمنّون أماني متواضعة: الذي

يملك درّاجة يطلب سيّارة صغيرة والذي يملك مرسيدس يطلب رولس رويس.

في تلك الفترة نجح اندرول في امتحان الهندسة البيئية، في الحقيقة أن في تلك الفترة نجح ٩٥٪ من المترشّحين لأنهم كلهم تقريباً دعوا أو على الأقل تمنّوا النجاح. لكن اندرول لا يدين بنجاحه إلا لمجهوده لأن الأستاذ بيك، بصرامته المعهودة، رفض إدخاله في البرنامج.

في اليوم الرّابع وقع تهديد الممثلين الأربع للديانات الكبرى عبر تجلّيات مفاجئة، تطالبهم بتفسير لما يحدث، فأصدروا بياناً مشتركاً تحذّر المؤمنين من قبول معجزات لا تحمل الطابع الرّسمي. لكن الخيرات التي تلقّاها المؤمنون كانت حقيقية لدرجة أنّ أشدّ المؤمنين ورعا لم يأخذ البيان مأخذ الجدّ.

قال عقراب لاندرول وهما يخرجان من النزل:

ـ أحسّ أنهم سيتحرّكون، الجوّ مليء بروائح سحرية، يجب أن نفتح أعيننا.

لم يكن الإله مخطئاً، فلم يكدا يخطوان بضع خطوات في ساحة النّزل حتى وقفت سيارة سوداء فخمة بجوارهما قرب الرصيف. خرج منها شابّان يرتديان الأسود بوجهين وسيمين تملؤهما الطيبة، أمسكا الصديقين من أكتافهما ودفعاهما داخل السّيارة، وسدّدا نحوهما نوعا من الكشّافات.

همس الإله:

ـ لا فائدة من المقاومة إنّها آخر ما ظهر من مبطلات السّحر، أنا عاجز تماماً.

ألقيا على الكراسي الخلفية للسيارة دون أي مجاملة، أحد المهاجمين يسدّد سلاحه نحوهما وانطلقت السيارة بسرعة غريبة.

رأى بوديف الذي خرج من نزل المدينة المشهد، فصاح بقوّة:

ـ إنّه اختطاف! اتبعوا تلك السيّارة واخبروا كل السيارات لمحاصرة المدينة.

أخرج مسدّسه لإطلاق النار على العجلات لكن لأوّل مرّة منذ بدأ العمل تعطّل مسدسه.

سريعا اتخذت الليموزين الطريق الذي يخرج من المدينة في اتجاه الشرق تلاحقها سيارات الشرطة. في مخرج كيرباك دخلت السيارة نفق الصخرة الحمراء وعندما خرجت لم يعرف عقراب واندرول المشاهد المعتادة لضواحي كيرباك، لم تعد السيارة في كيرباك. ربما لم تعد في الأرض أصلاً: السّماء بلونها الأخضر المصفرّ والطريق التي تجري عليها السيارة مصنوعة من مادة صلبة لامعة كأنها مبلّطة بالماس.

ـ أعتقد أني عرفت المك... بدأ عقراب بالكلام لكن الرجل هدّده بحركة من سلاحه فسكت.

كانت المشاهد رائعة، في الأفق ارتسمت جبال عالية بيض وعلى اليمين امتدّ على البعد بحر بنفسجي عميق. الشاطئ البرتقالي محفوف بنبات غزير له كلّ درجات الأزرق. بعض الأشجار حسب تقدير اندرول تتجاوز الخمسين متراً وعلى أغصانها ثمر أحمر كبير بحجم البطيخ، وأشجار أخرى أقصر وأكثر أوراق مليئة بتفاح أخضر مشةّ.

ـ شجرة الحكمة وشجرة الحياة. قال عقراب بسرعة قبل أن يدفع الآخر مسدسه بين أضلاعه.

الرجال الثلاثة الذين اختطفوهما لهم نفس الوجوه الجميلة الهادئة برقّة وبلا أدنى رحمة.

رأى اندرول في السماء سربا من الطيور البيض على شكلV وعندما اقترب السّرب تبيّن له أنهم رجال بجلابيب بيض وأجنحة مفتوحة على أقصاها.

ـ إنها دورية ملائكة، همس عقراب.

الطريق التي يتبعونها تصعد بتعرّج نحو جبل شامخ مشجّر، وفجأة في منحدر حادّ اكتشفا فيلاّ واسعة تشرف على البحر تشبه الإقامات الضّخمة لأغنياء كاليفورنيا التي يراها اندرول أحياناً في التلفاز.

توقّفت السيارة قرب رواق من الرّخام الوردي في ساحة من الجصّ الملون، دفعهما الحارس خارج السيارة. نزل للقائهما رجل أسمر بعينين حادّتين يجلّله رداء أبيض.

ـ أرحّب بكما أيها السّادة، قال بلهجة إيطاليّة واضحة. وأرجو منكما العذر على الطريقة الجريئة التي استعملناها لجلبكم. أنت الإله عقراب، أليس كذلك؟ وأنت الشاب الآدمي اندرول لوكروك، العرّاب في انتظاركما. أقدّم لكما نفسي أنا الدكتور سنتوسبريتو مستشار العرّاب المقدس *Dottore Santosprito*.

صرف المستشار الشابين وقاد اندرول وعقراب إلى قاعة صغيرة ذات مقاعد وثيرة وقال بأدب: «العرّاب سيستقبلكما خلال دقائق، تفضّلوا إذا أردتما ترطيب أفواهكما البار هناك، لدينا كل المشروبات بما في ذلك مشروبك المفضل تسوخ سيد عقراب، إنّه مشروب ممتاز لا يفوقه إلا رحيق قدماء آلهة الإغريق».

اختفى بين السواري الضخمة وبقي اندرول وعقراب وحدهما.

ـ العرّاب... قال اندرول، سمعت هذه الكلمة في الأفلام الأمريكية. إنه اللقب الذي يتخذه زعماء المافيا.

ـ أخشى أن نكون وقعنا في يد مافيا.

ـ والرجل الذي استقبلنا قال إنه *Consgliere* يعني مستشار بالإيطالية. عرّابو المافيا لهم دائماً رجل ثقة لنصحهم وقضاء حوائجهم.

ـ نعم اسمه يوحي لي بشيء، أظن أني بدأت أعرف أين نحن.

ظهر سنتوسبريتو دائم الابتسام واللطف.

ـ اتبعاني لو سمحتما، العراب في انتظاركما.

اجتازوا قاعات عديدة كل منها ذات ديكور خاص، واحدة تشبه كاتدرائية قوطية، وأخرى مغطاة بجليز أزرق لا يوجد له مثيل إلا في مساجد إيران، وأخرى مليئة بمنحوتات باروكية تذكر بزمن الخمير البوذيين.

أخيراً خرجوا إلى شرفة واسعة مشمسة يتوسّطها مسبح يلعب به ملائكة صغار، وعلى حافته يجلس في ظل شمسية كبيرة شيخ طاعن في السّن. على يمينه أربعيني بلحية طويلة كستنائية وعينين رماديتين بخضرة رقيقة.. وعلى كرسي صغير تجلس امرأة في السّتّين على محيّاها بقايا جمال غابر، تجمّع في كليهما حزن صادق.

وقف سنتوسبريتو خلف أريكة العجوز الذي رفع نحو عقراب واندرول عينين ماكرتين يختلط فيهما بغموض الترحيب والقسوة.

ـ أنت عقراب إذن! قال بصوت رقيق ذي صرير، أنت لست من العائلة، لذلك أعفيك من تقبيل يدي. ضحك ضحكة قصيرة فبدأ بالسّعال. هل تعلم؟ في زمن ما كنت سأخيّرك بين أن تدخل في خدمتي أو أسجنك تحت هرم

من الغرانيت. حتى الآن يكفي أن أقوم بحركة واحدة، لكن اللعبة لم تعد مسلّية، سيقول لك مستشاري، وأشار برأسه إلى سنتوسبريتو، إنّي أسيطر على كلّ شيء، يهوذا وشركاؤه بالطبع إنها الشركة الأم وأيضاً الله L.T.D وكل الشركات الأخرى، ممثلونا في الكواكب لا يعلمون شيئا ويواصلون اقتتالهم، ولكن كل ما يهم الآلهة مباشرة أو غير مباشرة في يدي، لقد أصبحت بالفعل الزعيم الحقيقي، العراب الأوحد. الآخرون ليسوا سوى حضور اسمي، كلهم إلاّ أنت وعصابتك من الصغار. آه! أنتم تسبّبون المشاكل لملائكتي ورجالي أكيد، خطّتكم الأخيرة محكمة جدا. من صاحب فكرة مصنع الأدعية؟

- إنها ليليت.

- كان عليّ أن أعرف ذلك، لا يمكنك أبداً أن تحترز بما يكفي من النساء،ليس عيبا أني بدأت بخلع كل الإلهات، وقد كنّ كثيرات عندما دخلت لعبة العنف والابتزاز. هذه ماري أمامك، أحبّها وأحترمها ولكنّي لم أرد تأليهها، رغم أنّ الرّباعي المقدّس ليس أشدّ صعوبة من الثالوث المقدّس وكان يمكن أن ينجح. لا تتخيّل عدد الناس الذين يحبّون ماري لدرجة نسياننا نحن الذكور، وهذا يسعدها «المتسامحة». أليس كذلك يا ماري؟

خيّل لاندرول أنّه لمح في النظرة التي رفعتها المرأة نحو العرّاب بارقة تحدّي.

ـ بالفكرة، بالقوّة، بالإقناع، بالإرهاب، واصل العجوز، لقد قتلت، طحنت، استعبدت، سيطرت دون رحمة ودون شعور بالذنب. خيّمت على وجهه ملامح حزن لا نهائي، أريد أن أكون الوحيد، وهاهي عقوبتي:

أنا وحيـــد.

ـ ولكن لماذا فعلت كل هذا؟ سأل اندرول بدهشة.

ـ سؤال جيّد أيها البشري، بدا على العرّاب وكأنّه لاحظ وجوده لأول مرّة، قد تتفاجأ، ولكن في البداية من أجل الحبّ، عندما كنت داعية صغيراً أجوب سهول الشالدي صحبة العجوز أبراهام كنت أحب هذا الشعب اليهودي الصغير العنيد والشجاع ربما لأن عليه أن يضحّي كي يعيش. بدأت أنا أيضاً أخوض المعارك، ولكني وجدت نفسي سجين المنظمة التي كوّنتها، عندما انتبهت فعلت مثلك يا عقراب، ذهبت بين البشر، ولكني لم أذهب شخصيّا أرسلت ابني الذي اعتقدت أنه أناي الآخر، رفع نظرة نحو الرّجل الملتحي الجالس قربه. للأسف، المسيح أعجبه اللعب وبدأ يحبّ البشر، وهو ما لا يخدم مصالح رجالي، أقصته المنظمة ولم أستطع فعل شيء.

ـ أبي لماذا تخلّيت عنّي؟ سأل المسيح بصوت عميق.

ـ منذ ألفي سنة وأنت تسألني نفس السؤال، أنت تعلم أني كنت مقيّدا، عندما تكون لديك مسؤوليات مثل التي تحمّلتها لا يمكن أن تتنصّل من مساعديك مهما أجرموا وإلاّ كان عليّ أن أكرّر الطوفان. ولكنّك كنت ولداً طيّباً فقد سامحتني، عندما سلّمتك جزءا من المنظمة تبيّن لك أننا لا يمكننا أن نفعل ما نشاء. لقد تخلّيت على ما لا يحصى من الأبرياء لتركهم لجبروت أعوانك. ولكنك في النهاية نجحت.

ـ وما هو الثمن؟

ـ ها أنا ذا، يا عقراب، القدير القوي، ولكني عجوز ومتعب، يرفض ولدي خلافتي، ليس له طباع العراب، لا ألومه على شيء، هذا يعود ربما لجزئه البشري، يريد العودة إلى الأرض ولكن ليس كأناي الآخر، يريد اقتسام قدر الإنسان ويصبح فانيا. هل فكرت يا مسيح أن عليك أن تكسب عيشك بعرق جبينك؟

ـ تعلّمت مهنة النجارة.

ـ أيها المسيح، قال عقراب الذي كان يتابع الحوار مفكرا، أعرفك وأحترمك، ولكن الآن مع أزمة السكن، لم يعد لمهنة النجارة أي مستقبل، يترك الخشب مكانه للبلاستيك والمواد المصنّعة، لديّ شيء آخر أقترحه

عليك، هل تريد أن تصبح حارس منارة، جون كريستوف جدّ اندرول يتقاعد هذه السّنة ومكانه شاغر.

ـ فيما يتمثل هذا العمل؟

ـ مراقبة الضوء الذي يهدي السفن في الليل حتى لا ينطفئ أبداً.

ـ هذا يلائمني جيّدا.

ـ إذن هذا أمر انتهينا منه، صاح العجوز، أنا سأنسحب في كل المتاحف والنّصب التي أقيمت على شرفي سأكون في سعة.

ـ وهل ستتخلّى عن المؤمنين بك؟ سأل اندرول.

ـ لا تشغل بالك يا صغير، سيكون هناك دوماً كنائس وأبرشيات وملل للاعتناء بهم. بلغت المنظمة من القوّة ما يمكّنها من العمل بدوني، سنتوسبريتو سيهتم بها، إنه مستشار ملّي جيّد وكذلك قضائي وأيضاً عسكري سينظم الحروب الدينية لصالح العائلة.

ـ وأنا؟ تكلّمت المرأة لأول مرّة.

ـ أنت يا ماري؟ اعتقدت أنّك ستأتين معي، لا تنقصك المتاحف أنت أيضاً.

ـ أفضّل الذهاب إلى الأرض مثل المسيح.

ـ ماذا ستفعلين هناك؟

ـ لو سمحتم، قال عقراب، أنا متأكد أن إيليا وميرا ستجدان لها عملا كممرّضة.

نظرة الشّكر التي وجّهتها له ماري كشفت أنّه أصاب الهدف.

ـ طيّب كما تشائين. قال العجوز. والآن سنتوسبريتو علينا تسريح كتائب الحرس الملائكي. سيلتحق عدد منهم بأبالسة الجحيم كمرتزقة، وهذا ما أخشاه، الآخرون سيفضّلون قدر الإنسان، هؤلاء، قال مشيراً إلى الذين في المسبح، يمكنهم أن يكونوا خيّاطين مشاهير وحلاقين وراقصين ومنشطين ثقافيين ومثقّفين يساريين. البقية تذهب للمتحف مثلي. بقي أن تعرف ماذا ستفعل يا عقراب أنت وأتباعك، ما سيبقى من المنظمة سيجعل حياتكم على الأرض جحيما. ألم تفكّر أبداً بخلق كوكب لك فقط؟

ـ بلى، قال عقراب وهو يسحب عقيق من جيبه، ولكنّه صغير جدّ.

أخذ العجوز الكوكب بيده الرّقيقة وتأمله وهو يطْرف بعينيه.

ـ عمل جميل، لا يمكنني أن أصنع أجمل منه. ولكن ألا تستطيع تكبيره؟

ـ وقتها قدراتي لم تكن تسمح لي بذلك.

ـ والآن؟

ـ أستطيع صنع كوكب قطره عشرة كيلومترات على الأكثر، هذا لا يكفي.

ـ استمع، سأنهي خدمتي بعمل خيري، سأعطيك من القوّة ما يكفي لصنع كوكب قطره ١٢ ألف كلم تقريبا، أصغر من الأرض بقليل، ولكنّه يكفي، اتفقنا؟

ـ اتفقنا. ولكن هل تعدني بألاّ تشجع المنظمة على الاندساس في عقيق؟

ـ كلمة إله. ولكن لا تطمئنّ كثيرا، سيحاولون ذلك دون أن أشجعهم. سنسبريتو *sansprito*! اتصل بالفرع التقني وقل لهم أن يقوموا باللازم، هناك مدار حرّ بين الأرض والمرّيخ على ما أعتقد، مدّ له عقيق. فانصرف المستشار بمشيته الواثقة وواصل الإله: «سنوصلكم إلى الأرض، ماري والمسيح سيعودان معكم، والآن اتركوني بمفردي لدي عمل عليّ القيام به».

وهم يبتعدون في الرّواق ألقى اندرول نظرة إشفاق أخيرة على العجوز وفكّر فيه بعطف.

احتفلوا بزواج اندرول وسيكدال قبل أيام قليلة من أول رحلة معمّرين نحو كوكب عقيق اللامع في سماء الأرض كنجم كبير بأضواء ملوّنة.

بالطبع عقد كراك بوم قرانهما في نزل مدينة كيرباك. وكان الزواج الأخير بصفته رئيس بلدية، لأنّه قبِل أن يكون رئيس الحكومة المؤقتة للجالية الجديدة. وقد شهد على هذا القران عقراب ويسوع. ارتدى عقراب بذلة من القطيفة الحمراء وقميصا أصفر وربطة عنق سماوية، وارتدى يسوع الزّي الأزرق لحرّس المنارات مع مرساة ذهبية مطرّزة على قبعته.

والدا اندرول حاضران بكامل أناقتهما، لقد قرّرا مصاحبة ابنهما إلى عقيق، قبل جون ماري وظيفة مفوّض عام للنظافة. على عكس والدي سيكدال الذين سيبقيان على الأرض آسفين على فراق ابنتهما ولكن لم تبرمج على عقيق أي مؤسسات تتطلّب وظيفة مدير عام وهذا كل ما يحسن أب سيكدال القيام به.

كما كان منتظراً سيشارك الاثنتا عشرة داعية للأذن الكبرى في الرّحلة الأولى التي تضمّ مليون شخص من كل أنحاء الدّنيا وخاصة المناطق الفقيرة والمحرومة. في البلدان الغنية

والمتطورة حيث تمتلك الديانات الكبرى إمكانيات كبيرة للدعاية كان العدد أقلّ. ولكن هناك رحلات أخرى مبرمجة كل ستة أشهر، حاليا يسافرون سحريّا ولكن بدأ مشروع صناعة سفن فضائية قادرة على قطع المسافة في أقلّ من ثمانية أيام.

اصطفّت لجنة آداب الأدعية برئاسة صوفرون وبمساعدة الحواسيب الترشحات. مبدئيا يمكن لأي شخص أن يسافر: العجائز مثل الشبان، المؤمنون مثل الملاحدة، العلماء مثل الأميين، الأذكياء مثل عديمي المهارة... الصفة الوحيدة هي التحلي بطبع طيّب، يجب على كلّ مرشح أن يمضي على تعهد باحترام إعلان مبادئ يقضي بأن لا أحد (إنسان أو إله) يمكنه امتلاك جسد أو عقيدة أو حرّية أو عمل شخص آخر ومن يخالف يعرّض نفسه لعقوبة الرجوع إلى الأرض.

آلهة نقابة صغار ومتوسطي الآلهة وحّدوا قدراتهم ليعطوا لعقيق مناخا صالحا للتنفس ومعطّر، وقاموا بإمالة محوره قليلاً لإيجاد فصول أقل حدّة من تلك الموجودة على الأرض.

كما نظّموا سطح الكوكب وتغذيته لتنمو النباتات والمزروعات لكن دون إنقاص شفافيته. وقد بدأت فعلا غابات وحقول من كل الأنواع بالنمو وتظهر بين جذورها

الحلازين الحمر والخضر وهي تتلاصق وتتشابك في أعماق التّربة.

وفي الأخير قاموا ببناء مئات المدن الصغيرة في كل مكان مجهّزة بكل مستلزمات الرّفاهة العصرية ولكنها مصنوعة برقّة وجمالية حرفيّ حقيقي.

فالب بيتسوك وزير الزراعة في الحكومة المؤقّتة يهتم بانتقاء البذور والحبوب والفواكه والخضر التي ستقع أقلمتها على عقيق. بالتوازي يهتمّ الأستاذ بيك زامب مسؤول البحوث البيولوجية بالحيوانات.

- كم أشبه نوحا وهو يختار الحيوانات التي سيحملها معه على السّفينة، قال يوما لاندرول، الكثير من معاوني فكّروا بإبعاد الحيوانات الضارة، فأجبتهم أن عديد الحيوانات التي تبدو من الوهلة الأولى ضارة بالإنسان هي ضرورية للتوازن البيئي أي للإنسان.

- حتى البراغيث؟ سأل اندرول، والثعابين السّامة وكلاب البحر وفئران المجاري؟

- أوافقك، هناك دائماً بعض الاستثناءات, ولكن علينا أن نكون حريصين، بدون العناكب سيكثر الذباب ودون الذباب لا يوجد مصقل لتنظيف المواد المتحللة.

كلما أمكن، .يترك الآلهة المبادرة للبشر ولا يتدخلون بسحرهم إلا في الأشياء الكبيرة كامتصاص مياه بحيرة ونقلها

في حوض آخر أو نقل سلسلة جبلية. الجمعية العامة للنقابة تجتمع دوريا برئاسة عقراب لمناقشة مسائل السياسة العامة وعن تجنّب التدخل في قرارات الحكومة المؤقتة برئاسة كراك بوم. دوماً تقع دعوة صوفرون لحضور هذه الاجتماعات كمستشار. وقع تكليفه من قبل الحكومة بإعداد مشروع دستور. طلب الكلمة في اجتماع نقابة صغار ومتوسّطي الآلهة ليناقش معهم بعض المسائل:

- الاستفتاء الشعبي كان دائماً علامة للديموقراطية، وهذا حقيقي لأنه يمنع التطاحن والحروب الأهلية. مع ذلك أقترح عدم اللجوء الآلي للانتخابات.

ارتفعت همهمات الرفض داخل الجمعية فرفع صوفرون يده طلبا للصمت وواصل:

- فكّروا، ولن تجدوا أي إثبات فعليّ لنقبل أنّ أشخاصا هم أكثر صوابا من الآخرين لأنهم فقط أكثر عددا.
- إذا كانوا أكثر فهذا يعني أنّهم أقوى ومن الطبيعي أن يقرّروا ما يجب أن يكون. قال كروباه الذي تحرّكت فيه نوازع الحرب.
- وهذا عكس الديموقراطية يا صديقي، أجاب صوفرون بهدوء، قانون الأغلبية ليس إلا قناع متمدّن لقانون الأقوى. الديموقراطية الحقيقيّة تعني أن تقول الأقليات كلمتها.

ـ ماذا تقترح أستاذ؟ سأل عقراب.

ـ اسمعوا، حينما يجتمع ١٠ أو ١٢ شخصا لا أكثر يمكنهم دائماً أن يتفقوا دون اللجوء إلى التصويت على مسائل عامة يمكن لكل شخص أن يجد غايته. لقد حضرت كثيراً اجتماعات الاثني عشر مؤمناً الأوائل بعقراب، كانوا مختلفين جدّا لكنهم تصرّفوا دائماً كشخص واحد ولم يلجؤوا قطّ إلى التصويت.

ـ لكن سكّان عقيق أكثر من ١٢. قال عقراب، سيعدّون بالملايين بعد مدّة قصيرة.

ـ إذن فلتكن في كل مدينة وكل قرية مجالس عشرية تأخذ قراراتها بالاتفاق في المسائل التي تهمّهم مباشرة. وكل مجلس يفوّض ممثلا إلى مجلس عشري آخر يمثل ١٠٠ أو ١٥٠ شخصا، وهكذا حتى نصل إلى مجلس أعلى يتخذ القرارات الكبرى التي تهم كل سكان عقيق. وبهذه الطريقة لا أحد يصوّت وكل الآراء يقع التعبير عنها.

بدأ نقاش طويل، الآلهة أكثر من ١٢، ولكن في النهاية وقع قبول اقتراح صوفرون بالإجماع ناقص بعض الأصوات.

نقل صوفرون المشورة فوراً إلى كراك بوم الذي عيّن فوراً لجنة من رجال القانون لإعداد الدستور الجديد.

في الأثناء استقرّ اندرول وسيكدال في مدينة على ساحل بحر الكريستال لا يسكنها غير ٥٠٠٠ مواطن، وبما أنّها أكبر

تجمّع سكّاني على عقيق وقع تسميتها كبرياك الجديدة كذكرى من الأرض وتقرّر أن يعقد المجلس الأعلى جلساته فيها.

هناك أيضاً توجد دار الأوبرا التي يديرها كروبنيك، كانت سيكدال الراقصة الأولى في الباليه. توقفت على النشاط بضعة أشهر لولادة طفلها الأوّل الذي يشبه اندرول. وبما أنّه أوّل طفل يولد في عقيق سموه عقيق الصّغير.

ولد في قسم التوليد بالمستشفى الذي أسسته إيليا وزيرة الصحّة العمومية وتديره ميرا.

اهتمت ماري رئيسة ممرّضات التوليد بعقيق الصّغير في أيامه الأولى مما عزّاها على بعد يسوع الذي بقي في كيرباك كحارس منارة. أحياناً في الليل تذهب إلى التليسكوب الكبير في المرصد لتبحث في سطح الأرض المظلم عن نقطة ضوء وامضة حيث يحرس ولدها.

من دعاة «الأذن الكبرى» الآخرين جون سيراك وزير المواصلات وبيتسوك وزير التعليم. يعملان دائماً معا، ويؤسّسان في كل مكان صحفا ومحطات إذاعية وتلفزية ومكتبات ومدارس وكلّيات بحوالي ٨٠٠ لغة يتكلّمها المهاجرون الأوائل. فكّر بيتسوك أن يفرض على عقيق لغة موحّدة لكن جون أقنعه بالعكس:

ـ كلما كانت هناك لغات كلما كانت هناك طرق مختلفة

للتّفكير كلما كان هناك أشياء عديدة لسماعها فوق عقيق. إنّه ثراء لا يجب أن نحرم منه.

فلورا أصبحت رئيسة تعاضدية مشروبات عقيق وتمّ إنشاء مصنع لتقطير التسوخ. وتم كذلك جلب نبات البوستينغ أثمر منذ السنة الثالثة عناقيد واتخذوا منه نبيذا سموه نبيذ عقيق الجديدة كأس أقلّ صفرة من نبيذ الأرض.

أعجب جون كريستوف بهذا النبيذ. كان الوحيد من ١٢ الذي لا يعمل، فهو يعتبر تقاعده أمراً يجب أخذه بجدّيّة. استقرّ بضاحية للصيّادين بقرب كيرباك الجديدة. يقضي أيامه تحت عريش الفنادق المحلّي أمام الصخور الشفافة لسطح عقيق حيث تتكسّر أمواج البحر. ناظراً باستمتاع بمنظر الأسماك الكبيرة التي تم جلبها من البحر كأنه يتفرج على أحواض للأسماك.

في نهاية السنة الثالثة وهم يستعدّون لتطبيق الدستور الجديد الذي سينظّم حياة ستة ملايين عقيقي وقع نقاش ساخن في الجمعية العامة لنقابة صغار ومتوسّطي الآلهة حول زرع شجرتي الحياة والحكمة على كوكب عقيق.

كانت ليليت تدافع على زرعها كتعويض عن الحياة الأرضية فكّرت. أنه من حق البشر استرجاع ما حُرموا منه بقرار تعسّفي.

وقع استدعاء الأستاذ بيك زامب للاستشارة. درس وطوّل النبتتين في مختبرات البيولوجيا النباتية، ثم قدم التقرير التالي

ـ ما تسمّونه شجرة الحياة هو نبات من جنس القرعيات، أما شجرة الحكمة فتعطي ثماراً نسميها خطأ تفاحاً ولكنها في الحقيقة ثمرة مفردة النواة مثل الكرز والأجاص والمانغا. الشجرة الأولى تحوي هرمونا شبيها لما نستخلصه الآن لتقوية جهاز المناعة المكتسبة. يرجّح أن يؤدي استهلاك هذه الثمار بانتظام إلى ضمان حياة طويلة جدّا وربما لانهائية، لكني لا أضمن الانعكاسات الجانبية. ما لاحظته أنكم أنتم الآلهة خالدون لكن هذا لا يمنعكم من الشيخوخة. ضجّت القاعة بالاحتجاجات لكن عقراب رفع يده لإعادة السّكون قائلاً:

ـ واصل أستاذ.

ـ أمّا ثمرة الحكمة، واصل بيك زامب، فتحتوي ذرات نجدها في التسوخ وتأثيراتها مجهولة. يبدو أنها تؤثر على الجهاز العقلي لتحرّره من الكبت الذي تمارسه عليه الضغوطات العضوية وتجعله يطوّر بحرّيّة ما ندعوه الذكاء أو الوعي. لكني لا أستطيع تحديد الحدود التي يمكن الوصول إليها. يمكن في حالة تجاوز حدّ معيّن أن تنتج الفصام أو جنون العظمة. لألخّص أقول أنه في الحالتين أحذّركم من استهلاك معمّم لهذه الثمار دون دراسة طويلة وفترة ملاحظة أطول.

بما أنّ الصّمت قد ساد في القاعة أخذ عقراب الكلمة:

ـ الأكيد أن الحياة الأبدية، كما قال الأستاذ، لا تعني الخلود وأن التطوّر اللامحدود للذكاء لا يعني الحكمة. إنها معجزات تفوق معجزاتنا نحن الآلهة تلك التي حقّقها الفكر البشري بعقله المحدود وحياته القصيرة، من العبث أن يمنع يهوذا عن آدم شجرة الحكمة ويخفي عنه شجرة الخلود، ولما تحوّل الشيطان إلى ثعبان وقال لحوّاء وآدم سيصبحان مثل يهوذا لم يكن يقدّم إليهما هديّة. لقد رأيت يهوذا حينما انسحب كان مصابا بضعف الشيخوخة، وبالكاد يكاد يتحكّم في جنون العظمة، فلننظر إلى أنفسنا رفاقي الآلهة، في الحقيقة يا رفاق... أجال على الحاضرين نظرة طويلة مفكّرة وواصل: أليس أن نكون بشراً خير من أن نكون آلهة؟؟؟

جثم على القاعة صمت ثقيل، يظهر أن عدد من الآلهة سألوا أنفسهم نفس السؤال مطوّلا. وقال هارلوس أخيرا:

ـ ولكن نتخلّى عن قدراتنا السحرية وعن الخلود!؟

ـ العلوم البشرية تساوي كل السحر، أما الخلود فتعلمون أنه ملل لا نهائي. نخدع المؤمنين بجنّاتنا. أعلم أن الموت حيف كبير وانتصار للسّديم، ولكن هناك سبل كثيرة لتأخيره. خير من حفظ الأرواح حيّة في محيط ثابت وعقيم. لأنّهم فانون يجد البشر مبدأ يناضلون من أجله،

شيئا لاكتسابه. لا أعلم إن كانوا سينتصرون ولكن ما داموا يقاومون فإن أبالسة السديم لن ينتصروا عليهم: الأمل يعمّر قلوبهم ولكن نحن الآلهة ماذا نأمل؟ طويلاً تأمّل عقراب وجوه رفاقه الصّامتين، وقال أخيرا: رفاقي لقد جرّب يسوع الحالتين وهو سعيد بقدره الإنساني. أقترح أن نتخلّى عن طبيعتنا الإلهية ونصبح بشرا.

دون أي معارضة تقرّر أن يتخلّى الآلهة عن ألوهيّتهم، فقط يمكن لمن أراد أن يحتفظ بقواه السحرية أو بجزء منها أن يقدّم طلبا، بشرط ألاّ يؤسّس بواسطتها ديانة.

وقع تقديم أحد عشر مطلبا وخاصة هارلوس الذي يريد مواصلة عمله كساحر. حتى كروباه وافق أن يصبح إنساناً، سريعا وقع تعيينه مساعداً للمفوّض بوديف الذي هاجر إلى عقيق، ومسؤول عن القيادة ثمّ الأمن المكلّف بالتصدّي إلى هجمات أبالسة السّديم والشّركات الماكرة للمنظمات الدولية الأرضية. بلا ملل يفكّك بوديف فروع مهرّبي الديانات. الذين يقبض عليهم يقع إرجاعهم إلى الأرض مع أوّل صاروخ.

عيّن اندرول عضوا في المجلس الأعلى مكلّف بتهيئة المجال. هذا يتطلّب عملاً شاقاً لأنّ هناك دوماً صحارى يجب تخضيرها وطرقات يجب مدّها ومحيطات يجب تعميرها. كان يسكن بمنزل على الشاطئ بكيرباك الجديدة مع سيكدال وطفليه ذلك أن سيكدال أنجبت طفلة سمّوها، طبعا، عقيقة.

في السنة الثالثة استقرّ عقراب في بيت صغير على بعد خطوات منهما واستعاد مهنته كأستاذ للقيثار.

أتى من جنّته البعيدة بعجوز كزيروس ذي الأربعة عقول وبإعانة إيليا وميرا استعاد عقليه المعطّلين وبدأ يتعلّم الموسيقى. بسرعة استعاد العجوز شبابه وبدأ يعزف النّاي بفمه ويغنّي ببطنه وبساقيه يحاول عزف الفيولونسيل.

في أماسي الصّيف الرّقيقة لعقيق يأتي كروبنيك بأرغنه الكهربائي ليعزف معه، وعقراب يصاحبهما بقيثارته وسيكدال واندرول يجلسان بين طفليهما يتذوّق كأس تسوخ مستمتعاً بسلام وسعادة لا أبديّة ولكنّها ستدوم طويلاً.

انتهت

هذا الكتاب

كان الإله عقراب إلهاً صغيراً جدّاً. منذ بدء الأزمنة وهو يتاجر في ركن صغير من الكون، حيث تسبح بكآبة بضع مجرّات على وشك الانطفاء.

في الأزمنة الغابرة كان يمكن لجنّته التي ابتدعها هناك أن تبدو لأقوام بدائيّين جذّابة بل رائعة، لكن الآن يجب الاعتراف أنّه لا يمكنها أن تغري أحداً. بالكاد تمكّن عقراب من تشغيل الكهرباء وطبعاً لم تكن لديه الإمكانيات لتجهيزها بتلفاز.

ISBN 978-9933350918

9 789933 350918